الجمهوريــة الجزائــريــة الديمقراطيــة الشعبيــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد الآداب واللغات — قسم اللغة والأدب العربي

المرجع:.....

تجليّات فن الرّحلة في رواية "أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل" لسعيد خطيبي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة: الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب جزائري

إعداد الطلبة:
- فادية بن مهرة
- فيروز بوغديد

إشراف الدكتور:
- رضا عامر

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال الله تعالى ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ صدق الله العظيم .

الشكر لله سبحانه وتعالى أولًا على نعمه التي لا تعد ولا تحصى وما ألهمنا به من معرفة وتوفيق.

نتقدم بخالص عبارات التقدير والإمتنان إلى الدكتور "رضا عامر" الذي لم يبخل علينا بشيء من علمه ووقته فقد كان نعم المرشد لنا ووجّهنا حين الخطأ وشجّعنا عند الصواب.

والشكر موصول إلى أعضاء لجنة المناقشة لقبلوهم مناقشة هاته المذكرة وإثرائها.

في الأخير أصل الشكر إلى كل من ساعدنا في إكمال هاته المذكر.

مقدمـــــــة

يُعدّ أدب الرّحلة من الأنواع الأدبية التي اِتسمت بمميزاتها وطبعها الخاص إلا أنه لم يحظَ بالاِهتمام والدراسة التي يستحقها فقد حيد هذا النوع الأدبي حتى كدنا نتناساه، مع التنويه إليه هنا وهناك في شتات الدراسات التي تناولته سواء بطريقة تاريخية أو جغرافية أو سوسيولوجية لما يحمله في طياته من تراث متكامل من أخبار المجتمعات وتقاليدها فهو جنس ملم وشامل يجمع بين شتى العلوم، بما في ذلك من تراث إنساني واقتصادي إضافة إلى التراث الأدبي الذي يحفل به.

كما أنّ أدب الرّحلة موضوع ممتع وشيق لكثير من الرحالة والمغامرين وشكل محور العديد من الكتب المعرفية الموسوعية، كما اِستقطب اِهتمام الكتاب الرحالة الذين وصفوا ما اِنتابهم من مشاعر وأحاسيس، وعبروا عن ميولا تهم واِنطباعاتهم الفكرية، وشيئا من معارفهم المتعددة، حتى يصدق القول على أدب الرّحلة بأنه الأخذ من كل شيء بطرف لأجل ذلك صارت الرحلة بعد تدوينها نموذج من معارف يجد فيه كل ذي رغبة ضالته الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

ومع ذلك لم يوف هذا النوع الأدبي حقه من الدراسات الأدبية على الرغم من أنه يعتبر مادة غنية تفيد كل دراسة فنية ولغوية، إذ نجده يتقبل الدراسة بأدوات منهجية مختلفة ومتنوعة لما يحمله من دلالات عميقة وقيم جمالية.

وقد اِخترنا هذا الموضوع للدراسة لعدة أسباب نذكر منها: نقص الدراسات النظرية والتطبيقية للنص الرّحلي، لذلك فإنّ هذا البحث هو محاولة لدراسة تجليات فنّ الرحلة في رواية "**أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل**" وسنحاول جاهدين في هذا البحث التعريف بفنّ الرّحلة، وحضوره في الرواية.

وقد سبقتنا عدة دراسات تناولت الكتابة في هذا الموضوع نذكر منها:

1. أدب الرحلة في المغرب العربي للطالبة جميلة روباش، مذكرة دكتوراه إشراف محمد بن لخضر فورار، قسم الآداب واللغة العربية، محمد خيضر، بسكرة، سنة 2015.

2. العجائبية في أدب الرحلات، رحلة اِبن فضلان نموذجًا للطالبة علاوي الخامسة، مذكرة ماجيستر، إشراف حمادي عبد الله، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005.

أمّا بالنسبة للأهداف التي نود الوصول إليها في بحثنا هذا:

1. الإحاطة بمفهوم أدب الرّحلة ومراحل نشأته .
2. تحديد أهداف الرحلة وفوائدها.
3. حضور الرّحلة في رواية أربعون عاما في اِنتظار إيزابيل.

وقد اِنطلق البحث من إشكالية كانت تؤرقه وتبحث بإلحاح على أجوبة موضوعية، ومن أبرز معالم هذه الإشكالية الآتي:

- ❖ – ما هو أدب الرّحلة؟
- ❖ – وما هي مراحل نشأته وأهم رواده في الوطن العربي والجزائر؟
- ❖ – ما أهم أغراض وأهداف وأهمية هذا الفن؟
- ❖ – كيف تجلى فن الرّحلة في رواية أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل؟

وللإجابة على هذه الأسئلة، وغيرها فرضت علينا الدراسة خطة بحث اِشتملت على مقدمة وفصلين وخاتمة تضمنت أهمّ النتائج التي تم التوصل إليها ثم أخيرًا تالتها ملاحق وقائمة للمصادر والمراجع.

- **مقدمة.**
- **الفصل الأول:** كان تحت عنوان أدب الرّحلة وتجلياته في السرد وقد قسمناه إلى ثلاثة مباحث.

المبحث الأول تناولنا فيه مفهوم أدب الرحلة لغة واِصطلاحا فأدب الرحلة معروف بانه يتميز بالوصف الدقيق للبلدان والأحداث التي تصادف الرحال في رحلته بالإضافة إلى دوافع رحلته، مضيفًا اِنطباعاته وإصدار أحكام تقويمية كما يسمعه ويشاهده في رحلته.

أما في المبحث الثاني فقد تطرقنا إلى تطور الرحلة بداية من التراث العربي ثم في الجزائر بصفة خاصة مع توظيف بعض النماذج منها اِبن بطوطة، محمد الخضر بن الحسين وآخرون.

أما في المبحث الثالث الذي كان بعنوان دوافع الرّحلة وأغراضها وأهم فوائدها فقد تحدثنا عن أهم دوافعها الذاتية والعامة بالإضافة إلى أغراضها التي تتنوع بين أهداف دينية واِقتصادية، علمية وثقافية وأخرى سياحية وأخيرا قمنا بذكر أهم فوائد الرحلة.

أمّا فيما يخص **الفصل الثاني** فقد عنوناه بحضور الرّحلة في رواية أربعون عاما في اِنتظار إيزابيل.

في المبحث الأول أعطينا ملخص لأحداث الرواية "رواية أربعون عاما في اِنتظار إيزابيل".

أمّا المبحث الثاني اِستخرجنا منه تجليات الرحلة في الرواية.

وفي المبحث الثالث درسنا فيه أهداف رحلة جوزيف ومظاهر تقمصه لشخصية إيزابيل.

وفي النهاية وضعنا **خاتمة** تضمنت أهم النتائج التي تم التوصل إليها.

بما أنّ كل دراسة أو بحث علمي يتطلب منهجًا يتناسب وطبيعة المشكلة المراد دراستها فقد اِتبعنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي والمنهج التحليلي الوصفي، المنهج التاريخي

من خلال اِتباع التسلسل الزمني لنشأة فن الرّحلة، في حين اِعتمدنا على المنهج التحليلي الوصفي من خلال تتبع مسار رّحلة جوزيف في الجزائر سواء كانت نحو مدن أو قرى جزائرية.

ما كان لعملنا هذا أن ينجز ويخرج للوجود **إلاّ** من خلال اِعتمادنا على مجموعة من المصادر والمراجع والتي كانت عونًا لنا في إتمامه وإخراجه بهذه الصورة ونذكر أهمها:

- ❖ – أدب الرحلات، حسين محمد فهيم.
- ❖ – أدب الرحلة في التراث العربي فؤاد قنديل
- ❖ –رحلات جزائرية، محمد صالح الجابري.

وأثناء إنجازنا لهذا البحث واجهتنا بعض الصعوبات منها قلة الدراسات التي تناولت موضوع أدب الرّحلة، ولاسيما أدب الرّحلة في الجزائر، هذا إلى جانب صعوبة حصولنا على بعض المصادر والمراجع التي تناولت هذا الفنّ رغم قلتها.

وفي الأخير لا يسعنا إلا التوجه إلى المولى عز وجل بالدعاء أن نكون قد وفقنا فيما قدمنا في هذا البحث كما نتقدم بالشكر إلى كل من قدم لنا يد المساعدة من قريب أو من بعيد ولم يبخل علينا بمعلوماته، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور المشرف:(**رضا عامر**) لما له من فضل التوجيه والإشراف ومتابعته لهذا البحث خطوة بخطوة فلولا ملاحظاته لما ظهر البحث في ثوبه هذا، والله الموفق.

الفصل الأول:

أدب الرّحلة وتجليّاته

1. مفهوم أدب الرّحلة لغة واصطلاحا
2. تطور الرّحلة في التراث العربي
3. دوافع الرّحلة وأغراضها وأهم فوائدها

المبحث الأول : مفهوم أدب الرّحلة لغة واصطلاحا

لقد عنى أدب الرّحلة بالعديد من المواضيع الملتصقة بعدة علوم أخرى كالتاريخ والجغرافيا، وعلم الاجتماع ... والتي تحتاج إلى بيان وتفصيل فمادام الحديث يتعلق برصد مجموعة من المفردات، التي تكون من خلالها عنوان هذا الموضوع، فلا بد أولا وقبل كل شيء أن نتطرق إلى المفاهيم التالية:

1-تعريف الرحلة:

1-1-لغة:

ورد لفظ الرحلة في عدة معاجم وقواميس، وعموما يجمع الكل على نفس المدلول:

جاء في معجم الوسيط :" الرّحال والترحال، ورِحْلة: سار ومضى. و- البعير، رحلا ورِحْلةٌ: جعل عليه الرَحْلُ. فهو مرحول، ورحيل. -علاه وركبه. ويقال رحل فلان مكروه. ورحله بسيفه: علاه به. في الحديث :" لتكفّنَ عن شتمه أو لأَرْحُلنَّكَ بسيفي". و-نفسه: صَبَرَ على أذاه.

(أرحل) فلان: كثرت رواحله. فهو مرحل و- الإبل: سمنت بعد هزال فأطلقت الرحلة و-فلانا جعله يرحل. والإبل: راضها حتى صارت رواحل. و- فلانا أعطاه راحلته

(راحله): عاونه إلى رحلته

(رحّله): جعله يرحل. و-الإبل: وضع عليها رحالها. و- الثوب: وشاه بصور الرحال فهو مرحل وفي الحديث:" أنه صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وعليه مِرط مرحل". و-الحساب: نقله إلى موضع آخر لاحق بالأول (محدثة)..."[1]

[1]- معجم الوسيط مجمع اللغة العربية، مطبعة القاهرة، ط 4، 2004، ص 334.

كما جاء في لسان العرب لابن منظور" ارتحل القوم عن المكان ارتحالا ورحل عن المكان يرحل وهو راحل من قوم رحل، انتقل... والترّحل والارتحال، والانتقال وهو الرّحلة والرّحلة"[1]، وهنا تعني الرحلة تغير المكان والانتقال.

وجاء أيضا في معجم الزبيدي: "رحلة (سار ومضى) قد جرى ذلك في المنطق حتى قيل ارتحل (القوم عن المكان) ارتحالا إذا (انتقلوا والاسم الرحلة بالضم والكسر) يقال إنه لذو رحلة إلى الملوك ورّحلة حكاه اللسياني أي ارتحال (أو) الرّحلة (بالكسر الارتحال) للمسير يقال دنت رحلتنا ومنه قوله تعالى رحلة الشتاء والصيف (وبالضم الوجه الذي تقصده) وتريده وتأخذه فيه يقال أنتم رحلتي أي الذين أرتحل إليهم قاله أبو عمرو ويقال مكة رحلتي أي وجهي الذي أريد أن أرتحل إليه ومن هنا أطلق على الشريف أو العالم الكبير الذي يرحل إليه لجاهه أو عمله قال شيخنا وفعلة في المفعول ادّعى أقوام فيه القياس (و) الرّحلة أيضا (السفرة الواحدة) عن ابن سيده (والرحيل كاميراسم ارتحال القوم) من رحل يرحل قال الراعي.

(و) الرحيل (منزل بين مكة والبصيرة) كما في اللسان (وراحيل) اسم (أم) سيدنا (يوسف) الصديق (عليه السلام) هكذا ضبطه الصفهاني وغيره..."[2]

وقال الفيروز آبادي في القاموس المحيط:" الرُّحْلةُ بالضم والكسر أو بالكسر: الارْتِحالُ وبالضم: الوجْهُ الذي تقْصِدُه والسُّفْرةُ الواحدة، الرّحيلُ كأمير: اسم ارتحال القومِ ومنْزِلٌ بين مكة والبصْرةِ وراحيلُ: أم يوسف عليه السلامُ ورِحْلة: هضْبةٌ. وأرْحل: كثرت رواحِلُه والبعيرُ: قوِي ظهْرُه بعد ضعْفِ والابلُ: سمِنتْ بعد هُزال فأطلقتِ الرحْلة وفلانا: أعطاه راحلةٌ. ورحل كمنع: انتقل. ورحّلْتُه ترْحيلا فهو راحِلٌ من رُحّلِ كدكع وفلانا بسيفه.[3]

[1]–ابن منظور: لسان العرب، مجلد 11 ، دار بيروت للطبعة والنشر، بيروت، لبنان، دون تاريخ، ص 279.

[2]–الزبيدي: تاج عروس، الجزء7 ، دار صادر بيروت، لبنان، دون تاريخ، ص 371.

[3]– الفيروز ابادي (محي الدين محمد بن يعقوب): قاموس المحيط، دار الجليل، بيروت، لبنان، جزء 2، ص 394.

أما في معجم الوسيط لإبراهيم مصطفي وآخرون فقد ذكروا عدة معاني لمصطلح رحل حيث قالو:" (أرحل) فلان كثرت رواحله فهو مرحل والإبل سمنت بعد هزال فأطلقت الرّحلة وفلانا جعله يرحل والإبل راضها حتى صارت رواحل وفلانا أعطاه راحلة (الرحال) صانع الرحال، (الرحل) العرب الرحال الذين لا يستقرون في مكان ويحلون بماشيتهم حيث يسقط الغيث وينبت المرعى (الرّحالة) الكثير الرحلة (والتاء للمبالغة)، (الرحل) العرب الرحل الرحل، (الرحل) ما يوضع على ظهر البعير للركوب وكل شيء يعيد للرحيل، من وعاء للمتاع وغيره ومسكن الإنسان وما يستصبحه من الأثاث وفي الحديث (إذا ابتلت النعال فالصلاة في الرحال) (ج) أرحل ورحال ويقال حط فلان رحله وألقى رحله أقام (الرّحلة)..."[1]

من خلال التعاريف التي ذكرناها سابقا في معنى الرحلة نجد: أن الرّحلة وردت بمعنى السير والانتقال والوجهة، أو المقصد الذي يراد السفر إليه، كما تعني اقتراب وقت الرحيل، ولفظ رحلة يطلق على من انتقل من مكان إلى آخر ومنه أشتق لفظ رحال الذي يقصد به الشخص المنتقل من مكان لآخر.

1-2 الرحلة في القران الكريم

ذكر مصطلح الرّحلة في القرآن الكريم في عدة سور وآيات نذكر منها:

*سورة قريش في قوله تعالى:﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ[١] إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ[٢]﴾[2] ويقصد بها هنا الرحلة التي تقوم بها قريش بغرض التجارة فكما هو معروف أن أهل مكة يرتكزون على التجارة بحكم مكانة مكة وموقعها.

[1]- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة، ص 334.335.
[2]- سورة قريش: الآية 1-2 .

*سورة يوسف: في قوله تعالى في الآية رقم 62:﴿ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾[1] وتعني كلمة رحالهم في هذه الآية الكريمة الأوعية التي يحمل فيها الطعام وغيره من اللوازم التي يحتاجها الانسان.

وفي الآية رقم 70 من نفس السورة في قوله تعالى:﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾. [2]

كما ذكرت أيضا في الآية رقم 75 بنفس المعنى في قوله تعالى:﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾[3] والرحل هنا يحمل معنى ما يوضع على البعير من أجل الركوب.

كما تعددت أنواع الرحلة في القران الكريم منها:

* " الرحل فرار بالدين من أرض الشرك إلى أرض الإسلام، وأشهرها هجرة المسلمين الأولى والثانية إلى الحبشة ثم هجرة الرسول من مكة إلى المدينة" [4] قال تعالى:﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا [١٠٠]﴾[5]

في هذه الآية الكريمة يحث الله تعالى المسلمين على الهجرة هروبا وفرارا من الكفار بغرض الحفاظ على أنفسهم وعلى دينهم الإسلامي مثل هجرة المسلمين إلى الحبشة وهجرة الرسول عليه وسلم إلى المدينة المنورة.

[1]- سورة يوسف: الآية 62.
[2]- سورة يوسف: الآية 70.
[3]- سورة يوسف: الآية 75.
[4]- عواطف محمد يوسف نواب:الرحلات المغربية والأندلسية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،السّعودية، 1996 ص33.
[5]- سورة النّساء: الآية 100.

*" الرحلة في طلب العلم: وهي رحلة موسى عليه السلام مع سيدنا الخضر عليه السلام ليتعلم منه[1] قال تعالى :﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا [٦٦] قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا [٦٧] وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا [٦٨] قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا [٦٩] قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا [٧٠] فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا [٧١] ﴾[2] وفي هذه الآيات الكريمة تتجلى رحلة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام بغرض تحقيق المعرفة والاستفادة من علمه.

*" الرحلة لتأدية شعائر الحج[3] يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ [٢٧]﴾[4] فالحج من العبادات التي نص عليها الدين الإسلامي وهي معروفة وتؤدى منذ القديم للقادر عليها، حيث يرحل المسلمون من كل بقاع الأرض إلى مكة المكرمة من أجل تأدية مناسكه.

1-3- الرحلة: اصطلاحا

" الارتحال من مكان إلى مكان ومن حالة إلى حالة فعلى سبق كل الأفعال وسمة سبقت كل السمات، وتحولت إلى حلم وشوق تتطلع إليه كل نفس وهاجز ملح يحوم في أعماق الكثير من المخلوقات، حتى الحيوان والطير. ولعل الطيور المرتحلة والمهاجرة معلم شهير من معالم الطبيعة التي تبحث عن وجودها وأحلامها في الأمن والطعام والحب والتزاوج فتندفع بالأجنحة والقلوب والعزائم نحو بلاد بعيدة، وأفاق رحبة، تعانق فيها صورا جديدة ومشرقة من صور الحياة وتجلياتها الملهمة.

[1]- عواطف محمد يوسف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية، ص 33.

[2]- سورة الكهف: الآية 66-71.

[3]- المرجع السابق، ص 36.

[4]-سورة الحج: الآية 27.

والرّحلة حركة ...والحركة روح الحياة، وقد هيأ الله لها جناتها وخلاياها فيما خلق وصمم لها التشكيل الجسدي والنفسي والعقلي والحسي كأدوات لازمة للتعمير الأرض بالحركة، وبث الحياة عليها بالعمل والتنقل ليكون الإنسان من صناع الحياة وعمار الكون.

وقد يدهش البعض إذا علموا أن كل شيء وكل سلوك ما هو إلا رّحلة، فلشمس رّحلة، وللقمر رّحلة، والإنسان مند أن يولد إلى أن يموت في رّحلة والزواج رّحلة وكل الأعمال تقريبا رّحلة .... رّحلة في المكان والزمان ...والمشروعات رّحلة من الفكر والتخطيط ثم التمويل والتنفيذ والتجهيز، حتى الانتهاء وبلوغ التمام، وبدأ العمل.

إن الهلال إذا رأيت نموه أيقنت أن سيصير بدرا كاملا "[1]

والرّحلة هنا يقصد بها التغيير والحركة والانتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى سواء على المستوى الفكري أو المادي أو الحياة الاجتماعية فكل شيء في هذا الكون له رّحلته الخاصة، وتلعب الرّحلة دور مهم في صناعة الحياة وتغييرها للأحسن وتعمير الكون.

للأوراق رّحلة وللعملات رّحلة، وللبدور رحلة، وكذلك لرياح والأمطار وللماء في الأنهار رّحلات، وللأسماك رّحلة والحيتان والحشرات ومع تقدم الشعوب وتعقد الحياة، غدت رّحلات السلع أكثر من رّحلات الإنسان والطير...فأنت تأكل موزا حملته السفن من البرازيل وتشرب شاي ورد من الهند وسيلان، وتلبس من ملابس أرسلتها إليك مصانع صينية، وتركب سيارات وردت من اليابان وتستخدم سلاحا حملته الطائرات من أمريكا.

وهكذا نلمس أن أصل الكون الرّحلة، أو بعبارة أكثر تواضعا، نقول أن الارتحال سمة أساسية من سمات الكون، وأن كنا نؤكد أنه السمة الأولى، فيكفي النظر إلى المجردات والشمس والقمر والأرض، ومختلف الكواكب والنجوم، حتى المكروبات والفيروسات، وكافة

[1]- محمد بن مسعود الحمد: موسوعة الرّحلات العربية والمعرّبة المخطوطة والمطبوعة، القاهرة، ،مصر،ط 1،الحمد،2007 ص4.

الكائنات، سواه أكانت دقيقة لا تراها المناظر، أم هائلة الحجم تراها العيون المجردة، وسواء عرفها العلم وأدرك أسرارها، أم لم تبلغها بعد أدواته الاستشعارية[1].

وهكذا تكون الرّحلة سمة من السمات الأساسية لهذا الكون، إذْ أن لكل شيء في هذا الكون رّحلته الخاصة سواء كان جمادا أو كائنا حيا، وتلعب الرحلة دورا أساسيا في سيرورة أمور الكون والإنسان خاصة فلرحلة أهداف كثيرة تساعد في استمرار الحياة.

وحثّ الإسلام على الرّحلة والسياحة للتأمل في المخلوقات والاتعاظ من أثار الأمم البائدة، فوردت في القرآن الكريم عدة آيات تشير إلى ذلك منها قوله تعالى: ﴿فسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فانظروا كيْف كان عٰقِبةُ الْمُكذِبِينْ﴾ ﴿1﴾

وأيضا قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمّ اُنْظُرُوا كيْف كان عٰقِبةُ الْمُكذِبِينْ﴾ ﴿2﴾

وأيضا: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فاُنْظُرُوا كيْف كان عٰقِبةُ الْمُجْرِمِينْ﴾ ﴿3﴾

وأيضا: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فاُنْظُرُوا كيْف بدأ الْخلْقُ﴾ ﴿4﴾[2]

في هذه الآيات الكريمة يحدث الله سبحانه وتعالى عباده على السير والانتقال في أرضه الواسعة سواء كان هذا الانتقال في سبيله أو سبيل أخد الموعظة أو في سبيل البحث عن حياة مستقرة وآمنة من الجوع والظلم والفساد.

وقد تواتر عنه صلى الله عليه وسلم ندبة ودعوته للخروج في طلب العلم فقال عليه أفضل الصلاة والسلام " من سلك طريق يلتمس فيه علما، سهل الله له به طريق إلى الجنة". ويسر صلى الله عليه و سلم على أمته أسباب السفر، من خلال تحقيق بعض التكاليف الدينية، مثل جواز الجمع والقصر في صلاة المسافر، و أباح له التيمم بدلا من الوضوء، إذا تعذر الماء، و رخص له بالفطر في نهار رمضان.[3]

[1]- محمد بن مسعود الحمد: موسوعة الرّحلات العربية والمعرّبة المخطوطة والمطبوعة ، ص5.
[2]- المرجع نفسه، ص6.
[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2-أدب الرّحلة اصطلاحا:

حظي مصطلح أدب الرّحلة بعدة تعريفات متنوعة ومتباينة من باحث لآخر ففي معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب عرف على أنه:

- أدب الرّحلات Travel littérature

" مجموعة أثار أدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلته في بلاد مختلفة، وقد تتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق. ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة أو يجمع بين كل هذا في آن واحد.

وقد اشتهر العرب بأدب الرّحلات ومن أهمها رحلة ابن بطوطة (770 ه)

ويعتبر أدب الرّحلات-إلى جانب قيمته الترفيهية أو الأدبية أحيانا-مصدرا هاما لدراسات التاريخية المقارنة وذلك خاصة بالنسبة للعصور الوسطى كما أن علماء الأدب المقارن اعتبروه مقسما من أقسام هذا الأدب في تصنيفه الحديث"[1]، ومن هذا التعريف نستخلص أن أدب الرّحلات يستقي مادته الإبداعية من الرّحلات التي يقوم بها المؤلف بين مختلف البلدان، حيث بقوم بتدوين ما يصادفه في رحلته من عادات وسلوكات وتقاليد البلدان التي يرتحل إليها في شكل مؤلفات أدبية ذات قيمة ترفيهية وأدبية في نفس الوقت.

كما يعتبر هذا النوع من الكناية الأدبية منبع تستقي منه مختلف الدراسات التاريخية المقارنة قديما وحديثا.

ويرى عماد الدين خليل أنّ: أدب الرّحلة ليس بحثا في التاريخ ولا وصفا جغرافيا: كما أنه ليس قصة قصيرة أو رواية أو قصيدة شعرية، وإنما هو هذا وذاك، ومن ثم يكتسب خصائصه المتميزة وطعمه العذب... وقدرته في الوقت نفسه على تلبية مطالب للمؤرخين والجغرافيين والأدباء الدين يطمحون لمعاينة الواقع، وسير غورها العميق.

[1]- مجدي وهبه، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللّغة والأدب مكتبة لبنان،بيروت،ط2،1984 ، ص17.

إنّها حركة في الطول والعرض والعمق (..) تجوال في جغرافيا الأماكن والظواهر والأشياء(..) واغال في النص الذي كاد يغيب عن العيان، ولكنه ما يلبث أن يمنح سخاءه لأولئك الذين ينصتون جيدا للأصوات البعيدة، وهي تتشكل تحت جلد الظواهر والخبرات(..) و أدب الرحلة(..) وفي بدء الأمر ومنتهاه هو محاولة لاكتشاف سر الإشباء (..)،والتعرف على تكوينها الذي يبدو أحيانا ككتل الجليد العائمة في المحيطات والبحار، لا يظهر منها سوى العشر، وتبقى الاشعار الأخرى مغيبة تحت الماء [1] .

وعليه فأدب الرّحلة هو أدب شامل لجميع الأجناس الأدبية من قصة ورواية وغيرها ولكنه يمتلك خصوصياته ومميزاته التي تميزه وتفرقه عن باقي هذه الأجناس كما يتميز هذا الأدب ببحثه في جوهر الأشياء من أجل اكتشاف هذا الجوهر وتقديمه للقارئ.

ويرى حسين محمد فهيم أنّ أدب الرّحلات هو بمثابة " الكتابات التي يكتبها الرحالة المسلمين وغيرهم التي يصفون فيها البلدان والأقوام، والتي يذكرون فيها أيضا أحداث تجوالهم، ودوافع رحلاتهم وما قد يصاحب ذلك من بلورة لانطباعات شخصية، أو إصدار أحكام تقويمية لما شاهدوه أو سمعوه ونظرا لارتقاء الوصف في كثير من أعمال الرحالة وبلوغه حدا كبيرا من الدقة، علاوة على عملية الأسلوب القصصي، السلس، والمشرق أدخلت أدبيات الرّحلات ضمن فنون الأدب العربي، وأصبحت قراءة أدب الرّحلات متعة ذهنية كبرى. ومع أن مادة الرّحلات، كما يرى الكاتب حسني حسين. قد لا ترتقي إلى مستوى الفنّ القائم بذاته كفنّ القصة، أو الشعر، أو المسرحية، أو المقالة الأدبية مثلا، إلا أنه في أدب الرّحلات تجتمع أساليب هذه الفنون وموضوعاتها كلها دون أن تضبطه معاييرها، أو يخضع لمقاييسها"[2].

[1]-عماد الدين خليل: من أدب الرّحلات، تصوير احمد ياسين، 2005 ، ص6.
[2]- حسين محمد فهيم: أدب الرّحلات، دار عطر المعرفة، الكويت، يونيو 1989، ص13.

ويرى أيضا حسين محمد" أن مادة الرّحلة كثيرا ما تحتوي على العناصر الأدبية جنب إلى جنب مع المعلومة الاثنوجرافية"[1]

فأدب الرّحلة هو عبارة عن وصف يتميز بالدقة للبلدان والأحداث التي تصادف الكاتب في رحلته بالإضافة إلى دوافع رحلته مضيفا لانطباعاته الشخصية وإصدار أحكام تقويمية كما يشاهده ويسمعه في رحلته وقراءة هذا الأدب يحقق متعة ذهنية كبيرة للقارئ إلا أن بعض الكتاب والباحثين يعتبرونه ليس فن قائم بذاته له مقوماته الخاصة التي تمييزه عن باقي الفنون فهو يجمع بين أساليب وموضوعات كل الفون الأدبية. مثل القصة والرواية والمسرحية إلا أنه لا يتقيد بمعاييرها وضوابطها.

ويعرفها الدكتور ***إنعام الحق غازي*** نقلا من إحدى معاجم المصطلحات الأدبية، حيث قال هو جنس أدبي مهمل وذو تنوع كبير وترجع أصوله إلى العصور القديمة، وقد ساهم فيه الكثير من الكتاب الخبراء المشهورين كما أنه وغيرهم من الناس منهم الدبلوماسيين والعلماء والدعاة والأطباء وأصحاب الجيش والبحريين. وهذا الجنس الأدبي يضم الأعمال التي تتصل بالاستكشاف والمغامرات كما أنه يشتمل على سجل الملاحظات التي دونها الرحالون عن الأراضي الأجنبية"[2] .

كما تعتبر ***قدسية قريش*** أن الرّحلة هي فنّ متفرد بين الفنون النثرية الأخرى وذلك لأن كل رحالة يصوغ مشاهداته بصياغة تخصه، ولا نستطيع أن نقول إن كل رحلة توفر متعة ولكن يمكننا أن نعتبر الرّحلات، من حيث العموم، تتسم بصياغة أدبية جذابة. "[3]

وفي آخر المطاف يمكننا القول أن أدب الرّحلة هو فنّ من الفنون النثرية القديمة إذ يقوم الرحال(الراوي) فيه بسرد وتدوين كل ما صادفه في الرّحلة التي قام بها بين البلدان حيث

[1]- حسين محمد فهيم :أدب الرحلات، ص13.
[2]- حافظ محمد باد شاه: الحجاز في أدب الرّحلة العربي، مخطوطة الدّكتوراه إشراف كفايت الله مداني، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام أباد باكستان،2013، ص10 .
[3]- المرجع السّابق، ص12.

يصدر أحكام شخصية تقويمية وهو فن من الفنون التي تقدم متعة كبيرة للقارئ وتثقفه وتثري فكره ومعلوماته اللغوية فكتب الرحلات تضم الكثير من المعلومات والمعارف الجغرافية والتاريخية والاقتصادية في أماكن متعددة وأماكن مختلفة.

المبحث الثاني: تطور الرحلة في التراث العربي

1- الرحلة عند العرب:

لقد عرف العرب الرحلة منذ القديم، وقد تجلى هذا الفن في مختلف كتاباته إذ:

" دلت كل الدلائل، عن أن الرّحلات العربية موغلة في القديم. وأنها استمرت مند وجدت إلى اليوم دون انقطاع والطبيعي أن التاريخ لمثل هذا الفن القديم مستحيل[1] "كما أن بعض الدراسيين يرجع بدايات هذا الفنّ مند تواجد آدم عليه السلام، وتواصلت_مع البشر أينما كانوا، وتأكدت على يد الصينيين والهنود، والمصريين، والفينيقيين، واليونان، قبل ألاف السنين، وخلفت هذه الحضارات بعض الكتابات، لعل أشهرها ما تركه هيرودوت. لكن العرب الذين انطلقوا بعدهم، وسجلوا أغلب رحلاتهم، تفوقوا على من سبقهم ومن جاء بعدهم، في عدد المرتحلين، والأقطار التي بلغوها، فما كتبوه وما عرفوه وما ابدعوه وسجلوه من مادة ثقافية غزيرة ونادرة"[(1)]، فقد وصلت إلينا أخبار عن بعض الرّحلات، وموجز لها، أو مقتطفات منها، فيما خلفه المؤرخون والجغرافيون والأدباء، و يبدوا أن أصحاب هذه الرّحلات اكتفوا بروايتها شفاهة ولم يدونوها. وأقدم هذه الرّحلات ما رواه المصري الذي أسره البيزنطيون في عهد معاوية بن أبي سفيان، وأطلقوا سراحه في عهد عبد الملك ابن مروان وحفظ التّنوخي بعض مروياته في كتابة " الفرج بعد الشدة".

بالإضافة إلى الرّحلات التي قام بها عبد الله بن القاسم العماني قبل سنة 141 ه⁄857 م إلى الصين.

[1]- محمد بن مسعود الحمد: موسوعة الرّحلات العربية والمعرّبة المخطوطة والمطبوعة، ص 17.

بالإضافة الى رحلات في المحيط الأطلسي قام بها خشخاش والفتية المغرورن" [1]

ومحمد بن قو سلطان مالي، ورحلة إلى روسيا قام بها مطران عكار بسوريا دون أن تصل إلينا نصوصها.

كما وصلت إلينا أخبار عن بعض الرّحلات التي دونها أصحابها، ولكن نصوصها لم تصل إلينا، إذ ألف الحسن بن أحمد (أو محمد) المهلي في عهد الخليفة الفاطمي العزيز كتابا سماه "العزيزي" أو المسالك والممالك تحدث فيه عن الجزيرة العربية والعراق، كما نقل ابن خلدون والمقري عن "الرحلة" أو "ترتيب الرحلة" لأبي بكر محمد بن العربي ويذكر أبي القاسم بن أحمد بن علي الزباني كتاب "رحلة الحدائق لمشاهدة البلدان والأفاق" ولم يصل إلينا أي منها.

وقد قام الكثير من العلماء برحلات لخدمة العلوم التي تخصصوا فيها، ودونوا نتائج رحلاتهم في كتبهم العلمية، دون أن يتركوا رحلات مدونة في كتب مستقلة مثل عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري، الذي نشر أخبار رحلته في مواضع متفرقة من كتابه "الروض الباسم في حوادث العصر والتراجم".[2]

" فعلى العموم انطلقت الرحلات شرقا وغربا مند القرن الثالث حتى الثامن للهجرة بلا توقف تقريبا، حيث تمكن الرحالة من تدوين كل ما رأوه في كل أنحاء العالم المعمور آنذاك وقد تألق في هذا الدرب رجال كثيرون، مثل: سلام الترجمان، سليمان التاجر، واليعقوبي ابن موسى وابن وهب، وابن الفقيه، ابن فضلان وقدامة بن جعفر والمسعودي وابن حوقل...ولحق بهم البيروني، وابن بطلان أبو عبيد البكري_أول الرحالة الأندلسيين_وتبعه أبو بكر بن العربي، والإدريسي وارتحل أيضا أسامة بن منقد وابن جبير، ثم ظهر البغدادي

[1]- حسين نصار: أدب الرّحلة، ص 57.
[2]- المرجع نفسه، ص58.

والعلامة ياقوت الحمودي، وابن سعيد الأندلسي والعبدري وأبو الفدا وكبيرهم ابن بطوطة ثم ابن خلدون والفهري، الظاهري.

الا أنه وبعد تراجع المد الإسلامي في العالم، تراجعت الرغبة في الرّحلة فقد انهارت الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس وتزايد الصراع على حكم. استولى المغول على بعض البلدان وتولى المماليك البعض الآخر، وتوارت الشعوب المسحوقة، أغلقت تقريبا مراكز العلم و البحث، وساد الظلام نحو ثلاثة قرون...ارتفعت خلالها الصروح في أوروبا وتسلمت الراية من العرب الذين كانوا سادة الدنيا، فلم تكن هناك غير بعض الرّحلات إلى إستانبول الإمبراطورية التي تولت الحكم في البلاد العربية ومن أبرز الرّحلات: رحلات عبد الله العياشي وعبد الغني النابلسي ومع القرن 3/هـ، 19 الميلادي، عاد العرب مع النهضة الناشئة للرحلة، فكانت رحلات الطهطاوي، والآلوسي، وعبد الله فكري وفي القرن 14هـ، 20 الميلادي كانت رحلات محمد لبيب البتانوني ومحمد الحجوي الثعالبي، وأحمد زكي باشا وطه حسين.

وبهذا يكون الرحالة العرب قد ساهموا خاصة إبان التخلف الأوربي وأثناء ازدهار الإمبراطورية الإسلامية على مدى ستة قرون في رصد كل مفردات الحياة في البلاد المعروفة في تلك الفترة، ودونوا تاريخها و معالمها وعادتها ولغتها ومعتقداتها وكل ظروفها وأحوالها بما لا نظير له، حتى إن هذه الشعوب اعتمدت في معرفتها بتاريخها وعاداتها القديمة على ما كتبه الرحالة العرب".[1]

" ولهذا فإننا يمكننا القول أن الرّحلات بكافة صورها وأسبابها وأهدافها كانت أحد الأعمدة الرئيسة في صرح الحضارة العربية الشامخ، لأن الرحلة إلى جانب كونها وسيلة من وسائل جمع المعارف فقد كانت أيضا فرصة لاكتشاف الآخر والأخذ عنه وإثارة الشعور بالمنافسة والرغبة في التفوق والطموح إلى السيادة. فلولا الرّحلة ما سمعنا عن البيروني أو المسعودي

[1]- محمد بن مسعود الحمد: موسوعة الرّحلات العربية والمعرّبة المخطوطة والمطبوعة، ص17-19.

وابن خلدون ولا قرأنا عن الإدريسي والمقدسي ولولاها ما ستمتعنا بكتابات ابن بطوطة وياقوت الحموي والبغدادي بل لولاها ما ظهر في سماء الأمة الإسلامية علماء كبار في كافة مجالات الأدب والعلم والفلسفة ".[1]

1-1 نماذج مختارة: ترك الرحالة العرب نتاجا غزيرا في مجال أدب الرّحلات من أشهرهم:

1-1-1 المسعودي: علي بن الحسين بن علي المسعودي...علامة، مؤرخ رحالة أدرك أواخر القرن الثالث الهجري وبدايات القرن الرابع الهجري، وترك مؤلفات نفيسة في مجال التاريخ، وكانت وفاته سنة 346هـ/957م.

زار الرّحالة علي بن الحسين المسعودي المحيط الهندي وشواطئه في إفريقيا وجزائره الكثيرة. وزار الهند وبحر قزوين وآسيا الصغرى والشام ومصر وبلاد العرب. فقد عرف علي بن الحسين بن علي المسعودي بتطوافه في المدن والأمصار المختلفة تطلبا للمعرفة. على أن أهم ما قام به رحلتان، الأولى عام 921م تعرف في إثنائها إلى مصر وفارس والهند وسرنديب ومدغشقر وعمان. والثانية عام 926م تعرف فيها إلى ما وراء أذربيجان وجرجان وإلى الشام وفلسطين، وفي سنة 942م اختار له الفسطاطا (مصر) مقرا، فأكب على جمع ما في رحلاته من حقائق تاريخية وجغرافية وأخذ يدون على ضوئها كتبه، جمع أخبار رحلاته في كتابه الشهير (مروج الذهب ومعادن الجوهر).

*** نص مختار من رحلته: تجارة العاج**

" والفيلة في بلاد الزنج في نهاية الكثرة، وحشية كلها غير مستأنسة والزنج لاستعمل منها شيئا في حروب ولا غيرها، بل تقتلها، وذلك أنهم يطرحون لها نوع من ورق الشجر ولحائه وأغصانه يكون بأرضهم في الماء ويختفي رجال الزنج، فترد الفيلة لشربها، فإذا وردت وشربت

[1]- فؤاد قنديل: أدب الرّحلة في التراث العربي، مكتبة الدّار العربية للكتاب، القاهرة، مصر،ط1 ، 2002، ص67.

من ذلك الماء حرقها وأسكرها فتقع، ولا مفاصل لقوائمها و لا ركب، فيخرجون إليها بأعظم ما يكون من الحرب، فيقتلونها لأخذ أنيابها، فمن أرضهم تجهز أنياب الفيل، في كل ناب منها خمسة ومائة منّ بل أكثر من ذلك، فيجهز الأكثر منها من بلاد عمان إلى أرض الصين والهند، وذلك أنها تحمل من الزنج إلى عمان، ومن عمان إلى حيث ذكرنا، ولولا ذلك لكان العاج بأرض الإسلام كثيرا "[1] .

1-1-2 ابن بطوطة:

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله الشهير بابن بطوطة_من أكابر وأشهر الرحالة العرب، ومن الرحالة الأوائل والقلائل المعدودين في العالم الذين اقتحموا مجال(عالم الرّحلات) وطافوا العالم شرق وغرب، بحثا عن الغرائب والعجائب والطرائق في حياة الأمم والشعوب، فأمتعوا الناس بأخبار وحكايات تأسر القلوب، وبهمته العالية وطموحه النادر حقق ابن بطوطة الريادة في(أدب الرّحلات) وصار كل من جاء بعده من الرحالة يتمنى الوصول إلى درجته العالية في المجد والشهرة، ولد ابن بطوطة في مدينة طنجة سنة 1304 ميلادي وخرج ابن بطوطة للحج وهو في الثانية والعشرين من عمره سنة 1324، وكان خروجه للحج وهو في هذه السن أول خيوط رحلته الكبرى حيث(انطلق من طنجة إلى إفريقية الشمالية فزار مراكش والجزائر وتونس وطرابلس الغرب ثم مصر ففلسطين فسورية فالحجار حيث يقصد وبعد أن أتم فريضة الحج. للمرة الأولى، تابع الرحلة إلى فارس، العراق، والأناضول وعاد إلى مكة الثانية...إذ يقول شوقي ضيف (لم يترك ابن بطوطة بلدا بها إلاّ وتحدث عن أهلها وسلطانها وعلمائها وقضاتها، وبذلك كانت رحلته معرضا كبيرا لحياة الأمم والأقاليم التي نزل بها من الوجهتين السياسية والاجتماعية، وكانت فيه نزعة دينية قوية، فأطال الوقوف عند رجال الدين وأمور الإسلام وزوايا المتصوفة) ويقول يوسف

[1]- كمال بن محمد الرّيامي: مشاهير الرّحالة العرب، كنوز للنّشر والتّوزيع ، 2013م، القاهرة، مصر،ط1 ،ص 25-28.

الشويدي: (تقوم رحلة ابن بطوطة على خلق الدهشة في القارئ عبر إيراد الكثير من الطرائف والغرائب) وكان نتاج رحلة ابن بطوطة كتاب بعنوان **تحفة النظار في غرائب الأمصار**"[1]

*** نص مختار من رحلته: (الصينيون عباقرة الصناعات)**

" وأهل الصينيين أعظم الأمم إحكاما للصناعات وأشدهم إتقانا فيها وذلك مشهور من رحالهم، قد وصف الناس في تصنيفاتهم فأطنبوا فيه وأما التصوير فلا يجاريهم أحد في إحكامه من الروم ولا من سواهم، فإن لهم فيه اقتدارا عظيما، ومن عجيب ما شاهدت لهم من ذلك أني ما دخلت قط مدينة من مدنهم ثم عدت إليها إلا ورأيت صورتي وصورت أصحابي منقوشة في الحيطان والكواغد، موضوعة في الأسواق ولقد دخلت إلى مدينة السلطان فمررت على سوق النقاشين ووصلت إلى قصر السلطان مع أصحابي، ونحن على زي المراقبين، فلما عدت من القصر عشي مررت بالسوق المذكورة فرأيت صرورتي وصورة أصحابي منقوشة في كاغد قد ألصقوه بالحائط فجعل كل واحد منا ينظر إلى صورة صاحبه، لا تخطئ شيئا من شبهه. وذكر لي أن السلطان أمره بذلك، وأنهم أتو إلى قصره ونحن به، فجعلوا ينظرون إلينا ويصورون صورنا، ونحن لم نشعر بذلك، وتلك عادة في تصوير كل من يمر بهم، تنتهي حالهم في ذلك إلى أنّ الغريب إذا فعل ما يوجب فراره عنهم بعثوا صورته إلى البلاد وبحث عنه، فحيثما وجد شبه تلك الصورة أخذوه".[2]

1-1-3 ابن خلدون:

عبد الرحمان بنو أبو زيد بن محمد بن خلدون، العلامة، مؤرخ، أديب، رحالة، شاعر، مفكر فيلسوف...واضع ومؤسس علم الاجتماع والعمران، ولأجل هذا العالم طارت شهرته كل مطار وعرفه الشرق والغرب كعظيم من عظماء الإنسانية، ولد سنة 732هـ/1332م ويرجع نسبه إلى وائل بن حجر من عرب اليمن. وقد نزح جده الأعلى خلدون إلى الأندلس في القرن

[1]- كمال بن محمد الرّيامي: مشاهير الرّحالة العرب ،ص87-89.
[2]- المرجع نفسه ، ص90.

الثالث للهجرة، ونزل إشبيلية، ثم انتقلت أسرته من إشبيلية إلى تونس في وسط القرن السابع عند غلبة الجلالقة عليها. رحل ابن خلدون إلى الأندلس مرتين، ثم ارتحل إلى مصر والحجاز والشام ودخل مراكش وفيها أصبح أمينا للسر عند سلطانها أبي كنان المريني. وفي غرناطة بالأندلس عاش مدة في بلاط ملكها ابن الأحمر. ورافق الحملة المصرية لمحاربة تيمورلنك في الشام وكان مفاوضا بارعا، وفي تونس تولى وظيفة كاتب عند أميرها، وتولى رئاسة الوزراء في بجانه من بلاد الجزائر وسافر إلى مكة لأداء مناسك الحج. ورحلات ابن خلدون موجودة في كتاب من تأليفه جاء تحت عنوان (التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا) وكتابه هذا أشبه بالترجمة والسيرة الذاتية.

*** نص مختار من رحلته (الرحلة إلى تونس)**

" ولما نزلت بقلعة ابن سلامة بين أحياء أولاد عريف، وسكنت منها بقصر أبي بكر بن عريف الذي اختطه بها، وكان من أحفل المساكن وأوثقها، ثم طال مقامي هناك، وأنا مستوحش من دولة المغرب وتلمسان، وعاكف على تأليف هذا الكتاب. وقد عرفت من مقدمته إلى أخبار العرب والبربر وزنانة، وتشوقت إلى مطالعة الكتب والدواوين التي لا توجد إلا بالأمصار، بعد أن أمليت الكثير من حفظي، وأردت التنقيح والتصحيح، ثم طرقني مرض أوفى بي على الثنية لولا ما تدارك من لطف الله، فحدث عندي ميل إلى مراجعة السلطان أبي عباس..."[1].

1-1-4 أسامة بن مُنقد:

أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقد الكناني الكلبي الشيرزي رحالة شهير وأحد أبطال المعارك الصليبية، كان أديبا شاعرا عاش في القرن السادس للهجرة، وصرف معظم شبابه في البلاط النوري بدمشق وفي قصر الخليفة الفاطمي بالقاهرة، إذ نزل أسامة بن منقد مصر و أقام فيها مدة في أثناء الحكم الفاطمي، وطاف ببلاد العرب والجزيرة وسجل

[1]- كمال بن محمد الرّيامي: مشاهير الرّحالة العرب ،ص94-96.

الحوادث التي عاش فيها بمسقط رأسه، وبمصر وقص كثيرا عن الصليبيين، وترك أسامة كتابا في الرحلة أسماه الاعتبار، وهو المسرح الذي اختاره لتسجيل مذكراته، إذ تكلم عن حروبه وأسفاره إلى دمشق مصر ومشاهداته للصليبيين في دياره أثناء الحرب وفي السلم كما تحدث عن طبائع الإفرنج وأخلاقهم ويوضح لنا تأخرهم الثقافي وأنهم لم يكن لهم شيء من الفكر أو الفلسفة يقتبسها العرب عنهم، فقد أعطانا الفارس والرحالة أسامة بن منقد في كتابه الاعتبار صورة واضحة عن حياة الصليبيين حين استقروا في الشام وكونوا بها مستعمراتهم.

*** نص مختار من رحلته: (عجائب طب الإفرنج)**

"ومن عجيب طبهم أن صاحب المنيطرة (بلدة في شمالي لبنان) كتب إلى عمي يطلب منه إنقاد طبيب يداوي مرضى من أصحابه، فأرسل إليه طبيبا نصرانيا يقال له ثابت، فما غاب عشرة أيام حتى عاد، فقلنا له: ما أسرع ما داويت المرضى قال: احضروا عندي فارسا قد طلعت في رجله دملةُ وامرأة قد لحقها نشاف (لعله جفاف اللبن في الرضاعة فعملت للفارس لبيخة..."[1] .

2_الرّحلة عند الجزائريين:

أدب الرّحلات من الفنون الأدبية التي شاعت لدى العرب مند القديم وقد أسهم الرحالون الجزائريون أيضا في عصر الأتراك بمجهودات كثيرة في هذا المجال ومارس هذا الفن كتاب كثيرون، ولا سيما تلك الرحلات الدينية التي كان يقصد منها لقاء شيوخ الطرق الصوفية والاجتماع بهم أو السفر لأداء فريضة الحج، وبعض هذه الرّحلات طبع حديثا والبعض الآخر لازال مخطوطا حتى اليوم.

ومن أشهر الرحالة الجزائريين في تلك الفترة: "أحمد بن عمارة"، "ومحمد بوراس المعسكري"، "والمشرفي"، كذلك "الورتلاني" الذي جمع في رحلته بين الأدب والتاريخ وأسماها

[1]- كمال بن محمد الرّيامي: مشاهير الرّحالة العرب، كنوز للنّشر و التّوزيع ، 2013م، القاهرة، مصر،ط1 ، ص49،50.

"نزهة في فضل علم التاريخ والأخبار"، وقد عرض تقاليد البيئة الجزائرية كما تحدث عن التبشر وركز على التصوف باعتباره متصوف، أما "ابن عمارة" فقد كان أديبا وشاعرا ألف رحلة أسماها "نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب" وقد جمع فيها قصائد كثيرة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم شأن الأدباء والعلماء في ذلك العصر، كذلك كتب "أحمد بن هطال التلمساني"، رحلة باسم،" رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري" عرض فيها للأحداث التي عاصرها كما نقل لنا عادات وتقاليد مواطنيه خاصة في منطقة الغرب بوهران، كما تحدث عن سياسة الأتراك آنذاك.

كما هناك رحالة آخرون في ذلك العصر كتبوا رحلات قيّمة بعضها اهتم بالتاريخ وبعضاها الآخر اهتم بالناحية الأدبية، وهي تتفاوت في أسلوبها بطبيعة الحال.

ويمتاز أسلوب الرّحلات عامة بالتسجيل والوصف الإنشائي التعبيري ويعتمد على الملاحظة الدقيقة المباشرة أو على الخيال حين يكون الوصف للطبيعة أو الكون أو غيرها مما ينفعل به الأديب الرحالة فيلونه بشعوره وإحساسه.[1]

وبالنسبة للقرن الماضي هناك نموذجان للرحلات اتجه صاحبها إلى الخارج ليصف لنا بيئة أجنبية وينقلا لنا عاداتها وتقاليدها، فهما لم يوجها عنايتها إلى الواقع الجزائري ولم يتجولا في الوطن شرقه أو غربه ليصف لنا حياة الشعب في تلك الفترة، والمهم في هاتين الرحلتين الجانب الأدبي لنستطيع أن نحكم على ثقافة القرن الماضي ومستوى اللغة العربية من جهة أخرى لنتبيّن كيف استطاع الاستعمار الفرنسي أن يستخدم المثقفين للتنويه بحضارة فرنسا وتقدمها المادي والفكري والثقافي.

وكان يمكن لهذين الكاتبين أن ينقلا لنا أشياء كثيرة عن البيئة الفرنسية لنستفد منها مثلما فعل "رفاعة الطهطاوي" حين سافر إلى باريس وألف كتابه المعروف "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" الذي أفاد النهضة الأدبية والثقافية الحديثة خير فائدة.

[1]-عبد الله ركيبي: تطور النّثر الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1830-1974، ص48-50.

والرحلة الأولى قام بها "محمد السعيد بن على الشريف" إلى فرنسا عام 1852 لحضور المهرجان الضخم الذي أقيم احتفالا بتنصيب نابليون الثالث.

أما الرحلة الثانية فقد قام بها "سليمان بن الصيام"، حيث زار فرنسا في الوفد نفسه الذي ذهب فيه الرحالة السابق للاحتفال بتنصيب نابليون الثالث، وقد عنى ابن الصيام في رحلته بالوصف، وصف الطبيعة والأثار والقصور التي شاهدها والقطار والباخرة، ووصف المسارح والمكتبات.[1]

أما في القرن الحالي فقد اختلفت الرحلة عما سبقها من حيث الهدف والاتجاه كما اختلفت مضمونا وأسلوبا ففي حين اتجهت الرحلتان اللتان تحدثنا عنهما أنفا إلى خارج الوطن وكانتا تخدمان في الأغلب أهداف الإدارة الفرنسية، أما عن الرّحلات التي جاءت في هذا القرن والتي قام بها في الأغلب.[2]رجال الحركة الإصلاحية من علماء، وأدباء اتجه بعضها إلى داخل الوطن بهدف بث الفكرة الإصلاحية ونشرها بين جماهير الشعب ودعوتهم إلى اليقظة والنهوض، كما اتجه البعض منها إلى المشرق العربي والبعض الآخر إلى أوروبا والإتحاد السوفيتي، وكان الهدف أيضا خدمة الشعب الجزائري بالتعريف بقضيته وينقل مشاهدات تفيده من قريب ومن بعيد كذلك فإن المحتوى والأسلوب قد اختلفا في النوعين إلى حد كبير فبينما عنى ابن الصيام وابن الشريف بوصف مظاهر الحياة في بيئات أجنبية ووصف العادات و التقاليد الغربية عن عادات وتقاليد الشعب الجزائري بأسلوب فيه إحساس وعاطفة بل وفيه مجاملة بقدر ما فيه من دهشة وانبهار بما شاهد الرحالة، فالنوع الثاني لم يقصد فيه الجمال الفني أو وصف المشاهدات بل تسجيل الواقع الذي يعيشه الشعب والدعوة للحركة الإصلاحية وتبصيره بالتقدم الذي أحرزته الشعوب الأخرى لدفعه إلى النهوض والعمل على تغيير هذا الواقع، وقد كانت رحلات رجال الحركة الإصلاحية في الداخل إلى جانب الدعوة لأفكار تصور مدى تعلق الشعب بالحركة وعلمائها وهي من هذه الناحية تمثل نوعا من

[1]- عبد الله الرّكيبي: تطور النثر الحديث ص61.
[2]-المرجع نفسه: ص 66.

الدعاية، لذلك اختلف أسلوبها باختلاف موضوعها ومضمونها فرئينا فيها ذلك السرد التسجيلي الذي يعتمد على المباشر والتقرير لا على التصوير والإيحاء.

ومن أهم رحلات هذا القرن لدينا رحلات "الشيخ ابن باديس" التي سجلها لنا وأبرز فيها زياراته المختلفة لمدن وقرى القطر الجزائر ويصرح ابن باديس أن هدفه من وراء رحلاته كان تذكير الناس بدينهم وحدثهم لرجوع إليه.[1]

بالإضافة إلى الشيخ "البشير الإبراهيمي" الذي كانت له رحلات كثيرة داخل الوطن وخارجه والكثير من رحلاته لا يزال مخطوطا مع نشر البعض منها.

أما في ما يخص الرحلات التي نشرت خارج الوطن لدينا رحلتين الأولى قام بها "أحمد رضا حوحو" عام 1950 إلى الإتحاد السوفيتي وهو أول كاتب جزائري يذهب إلى هذا البلد الصديق، وقد سجل حوحو في رحلته هذه ما شاهده من تطور حضاري وصناعي وتقدم ثقافي في روسيا وحاول أن ينقله بصورة صادقة وقد أطلق حوحو على رحلته عنوان "وراء الستار الحديدي" أما في ما يخص الرحلة الثانية فكانت إلى المشرق العربي وقد كتبها "محمد المنصوري الغسيري" حين ذهب إلى مصر مع وفد من الكشافة الإسلامية الجزائرية سنة 1953 وقد وضع لها عنوان "عدت من الشرق".[2]

2-1 نماذج مختارة: كما كان الأدباء الجزائريين حظا وفيرا في أدب الرحلة من بينهم:

2-1-1 محمد الخضر بن حسين:

"ولد محمد الخضر بن حسين سنة 1856 وهو عالم دين تونسي من أصل جزائري توفي سنة 1958"[3]، قام هذا الأخير بعدة رحلات نذكر منها" الرحلة الجزائري بدأ رحلته من سوق أهراس بواسطة القطار ثم توجه بعد مكوثه بسوق أهراس نحو تبسة ثم عين البيضاء ثم

[1]- عبد الله الرّكيبي: تطور النّثر الحديث ص67.
[2]- عبد الله الرّكيبي: تطور النّثر الحديث ص69.
[3]- ويكيبيديا anm.wikipedia.org، 26 أفريل 2021، 12:35.

غادر عين البيضاء متوجها نحو قسنطينة ثم باتنة وختم رحلته بزيادة عاصمة الجزائر حيث وصف كل ما صادفه أثناء تنقله بين المناطق الجزائرية.

*** نص مختار من رحلته: الرّحلة الجزائرية**

"كنت أسعفت فيها سلف من الزمان بإجراء سياحة في أطراف (المملكة الجزائرية)، وبقيت النفس مستشرقة إلى إعادتها تارة أخرى إلى مدينة الجزائر نفسها، لنكون على بينة من مقدار ما تبلغ إليه حالتها العلمية وجلية من أمر أخلاق أهلها الغالبة، وعادتها العامة، فإن لسان العيان أفصح من لسان البيان وما برحت هذه الأمنّية تتمثل في الخيال وتجول في العقل حتى مكنتنا الفرصة من توطيدها وإبرازها إلى حيز الوجود في شهر رمضان المعظم من السنة"[1]

2-1-2 سعيد أبو بكر:

"ولد سنة 1913 بمصر وتوفي سنة 1971"[2]، وهو ممثل مصري له رحلات عديدة نذكر منها:" شهران في عمالة قسنطينة" حيث كانت محطته الأولى من سيدي لهميسي هي تبتعد عن التراب التونسي بعشرة كيلومتر بالضبط ثم مرّ بمدينة قسنطينة وقضى فيها أسبوع وغادرها باتجاه بسكرة ثم غادر بسكرة متجها نحو واد زيان ثم انتقل إلى العديد من ولايات الوطن منها عنابة، بليدة، سوق اهراس، قسنطينة، تبسة، وعين البيضاء، وباتنة، وختم رحلته بسيدي عقبة وهي قريبة من بسكرة.

*** نص مختار من رحلته: شهران في عمالة قسنطينة**

"يقول صاحب اللسان إنها رحلة وليس من العدل أن أسميها رحلة لأنني في الحقيقة لم أتمكن من زيارة عدة جهات، عاقني عنها إما ضيق الوقت وكونها في المناطق العسكرية ويجب حينئذ أخذ رخصة خصوصية قبل الذهاب إليها، والا "فان" "القائد" مأمور بتأكيد وشدة

[1]- محمد صالح الجابري: رحلات جزائرية ص35.
[2]- ويكيبيديا anm.wikipedia.org، 26 أفريل 2021،12:25.

بتوجيهه مكتفيا مع ما معه من الأوراق إلى من له النظر. ولذلك فقد اقتصرت على زيارة بعض بلدان الشمال ثم توجهت نحو الجنوب، ولم أتجاوز فيه بسكرة بلدة النخيل الجميلة التي هي نهاية الحكم المدني."[1]

2-1-3 الطب بن عيسى:

دامت رحلته عشرة أيام بداية من قالمة والجزائر والبليدة ثم قروار وهي قرية عربية بحثة من أكبر قرى القطر الجزائري وهي قرية في طريق البليدة قبل الوصول إليها ينحو بثمانية كيلومترات من بني مراد وهذه دشرة تقع في طريق الجزائر والبليدة وقبل الوصول إليها مرّ ببسكرة التي قضى بها ثلاثة ليالي ثم ولى وجهته شطر واد سوف.

*** نص مختار من رحلته: الجولة الجزائرية**

"رغبتا تتجدد من حين إلى حين فتدعونا إلى زيارة جارتا(الجزائر) وشقيقة تونس، والقيام برحلة كبرى متسعة النطاق رحلتا الأولى إطلاعا الواقعة سنة 1920 ثم زيارتا لعاصمتها مرتين أثناء عام 1923 وقبل سفرنا للمغرب الأقصى وبعد رجوعنا منه، ثم إعادة الزيارة لقسنطينة سنة 1926 (العاصمة الثانية للجزائر)، ولكن الموانع والعوارض لا تزال تحول دون تمثيل الرغبة حتى أنها كادت تصدنا عن السفرات للأصقاع البعيدة بالشرق، وأخص عذر نقدمه هو المرض الذي اعترانا بقسنطينة عام 1926 فمنعنا من إكمال الرحلة.

ولولا مرورنا من (سوق أهراس)، (فعنابة)، (فقالمة)، لكنا حرمنا حينئذ حتى من جزئيات الإطلاع".

2-1-4 حمزة بوكوشة:

هو الشيخ حمزة شنوف المعروف بحمزة بوكوشة الصّحفي والأديب الجزائري ولد عام 1909 في واد سوف بالجزائر وله العديد من المؤلفات والكتب، توفي عام 1994 وقام أيضا

[1]- محمد صالح الجابري: رحلات جزائرية ص81.

بالعديد من الرحلات منها: جولة من التلال إلى الرمال بدأ رحلته هذه من مدينة دلس وهو بحيرة صغيرة متوجها إلى بسكرة وواد سوف مرور بالجزائر العاصمة ثم توجه في اليوم الثاني من رحلته إلى بوسعادة مكث بها يوم وليلة ثم شد رحاله إلى بسكرة مرة أخرى التي بقي فيها ثلاث ليالي واختتم رحلته بواد سوف.

*** نص مختار من رحلته: جولة من التلال إلى الرمال**

" لقراء الوزير الأعزاء حق على مديره ومحرره وكتابه أن يطلعوهم على ما يشاهدونه في الحل والترحال، ولقد عقدت العزم على القيام بهذا الواجب، ولكن نسج على الخاطر ذهول حتى اتصلت برسالة خاصة من صديق الحميم شاعر الشباب الأستاذ (محمود بورقيبة) يقترح عليّ فيها موافاة قراء الوزير بمشاهداتي في جولتي الأخيرة، وبما أني قد تلكأت في أداء هذا الواجب فلم يسعني إلا تداركه بقضائه بعد فواته، وقد قيل:

وعلي أن أقضي صلاتي بعدها فاتت إذا لم آتها في وقتها.

وإلى القراء أبناء هذه الجولة:

في 15 من شهر جمادى الأول المنصرم، غادرت بلدة (دلس) تلك البلدة الهادئة المطمئنة التي أباشر مهنة التعليم بمدرسة(الإصلاح) الكائنة بها والتي أسسها الأهالي 1851.[1]

المبحث الثالث: دوافع الرحلة وأغراضها وأهم فوائدها

1- دوافع الرحلة وأسبابها:

إن الرحلة عموما يحركها ويخرجها شيئان:

*دوافع ذاتية.

[1]- محمد صالح الجابري: رحلات جزائرية، دار الحكمة، ص141.

*أسباب عامة.

تعتبر الدوافع الذاتية هي الأساس الذي تبنى عليه الرحلة، ثم تأتي الأسباب الظاهرية والعامة لتكون مبررا مقبولا للقيام بهذه الرحلة.

الأساس أن الرحلة غاية، وأنها ضرورة، بمعنى أنها ليست ترفا ولا سبباً لنيل الشهرة. إنها "عادة ضارة" كما يقول أحد الباحثين، ولكن هذا الضرر قد يتحول إلى نفع إذا أفلحت في تحقيق أهدافها.

إن المقصود بالضرورة هنا:" الضرورة الذاتية التي تدفع الإنسان للرحيل رغم أنها قد تكون مضادة لرغباته، أو منافية لتوجهاته العقلية، ومخالفة لاستحسان الآخرين...وربما كان في نية الرحال أن يعود عندما يرضى بعض من فضوله وحب استطلاعه وعندما يخمد حافزه لرؤية الأقطار الأخرى وسكانها، ولكن الرحلة من أجل الرحلة ذاتها كالإنجاز الممتع، أو مجرد طواف الأرض، ليست إلا المحركات الطبيعية للرحلة"[1] بمعنى أن الرحال لا يقوم دائما برحلته من أجل تحقيق ميولا ته ولا تكون دائما حسب أهوائه فهو قد يقوم برحلته رغم منافاتها لمختلف توجهاته وتزيد قيمة رحلته وتعبه عندما يستطيع تحقيق الأهداف التي ارتحل لأجلها.

"ورغم هذا فإن الرحلة "حالة عقلية"، بمعنى أنها ليست ضربا من تغييب الوعي...بل هي محاولة لإعادة هذا الوعي في صورة قوية"[2]

وما يلي محاولة لرصد أهم دوافع وأسباب الرحلة:

فالرحلة تخرج من أجل:

– الكشف عما يجمع ولا يفرق، عما هو أصيل غير عارض، عن حقيقة الكون.

[1]- ناصر عبد الرّازق الموافى: الرّحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرّابع الهجري) ، دار النّشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، مصر،ط1، ص26،27.
[2]- المرجع نفسه، ص27.

– الرغبة في العزلة والتأمل لأنهما" اثنان من الحاجات الضرورية الازمة لأي شخص مفكر...وما يسمى بحالة الانشراح لا يمكن انتظارها بل يجب أن نسعى إليها بأنفسنا"ذلك الانشراح هو الذي يؤذي للتجلية والكشف والإبداع.

– البحث عن الجمال المفقود، والسلام المنشود، والفوضى الفطرية:" إننا مفتقرون للجمال...والسلام واحد من الأشياء التي نبحث عنها...إنك تبحث عن السلام حيث لا يوجد الإنسان، أو على أي حال حيث مازال الإنسان على الفطرة"

– الوحي والإلهام من أجل الإبداع، وقد كان بعض الشعراء العرب يرحلون إلى البادية إذا تعذرعليهم قول الشعر، فتعمل الصحراء الخالية على تصفية الذهن وتجويد القريحة[1]،فالرحلة هنا تعد عاملا مساعدا في تزويد الكاتب بأفكار جديدة.

"وقد يكون الملل الناجم عن الحياة الرّتيبة التي يحياها الإنسان دفعاً للرّحلة والرّغبة في التجديد والتغيير قد تلح على الرحال، فنقض مضجعه وتقلق باله، فلا يستريح إلا إذا خطا الخطوات العملية التنفيذية من أجل الرحيل"[2]، ومنها نستنتج أن الرحلة قد تكون من أجل التجديد وكسر الملل فالرحلة قد تكون سبب في الترفيه عن النفس وانشراحها.

– وقد يخرج الرحال إرضاء لفضوله وحب استطلاعه.

– وقد تكون الغيرة الشخصية أو طلب الشهرة من دوافع الرحلة.

– وقد تصبح الرحلة داء لا يمكن الخلاص منه فيطلق على صاحبها إسم" الجوال "أو " جوالة ".. وقد حضي بهذا اللقب مسلمون كثيرون.

– وباعتبار الرحلة مصدرا حيا من مصادر زيادة الخبرات فإن كثيرين يلجأون إليها من أجل تنمية قدراتهم الذاتية على مواجهة الحياة في مختلف الظروف.

[1]- ناصر عبد الرّازق الموافى: الرّحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرّابع الهجري) ص27،28.
[2]- المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

– وقد تكون الرّحلة من أجل العلم فهي معلم تمتاز على المستويين النظري والعملي كما أنها وسيلة للإيمان أو لتثبيته وتأكيده وذلك من خلال ما يراه الرّحال من عجائب وغرائب وبديع صنع.

– وقد تكون الرّحلة من أجل القيام بأعمال رسمية، خدمة للدولة التي ينتمي إليها الرحال كالسفرات الرسمية، ورحلات البريد...وإلى غير ذلك.

– وقد تكون ظروف تاريخية معينة داعية للرحلة كتحرير القدس وزيارة الرحال العربي "بن جبير" لها، وكاتجاه الأوروبيين إلى الكشف والرحلات كوسيلة من وسائل تعويض الفشل الذي منيت به الحملات الصليبية.

– وقد تكون الرغبة الشخصية لحكام وراء الرحلة، كرحلة "سالم الترجمان" للتأكيد على قوة السد وسلامته، ورحلات الكثيرين لتأكد من صحة وجود أهل الكهف، أو الكشف عن منابع النيل[1].

ومنه نستطيع أن نقول أن الرحال قد يقوم برحلاته لأجل إرضاء رغباته في الاستطلاع وكشف المجهول، أو بحثا عن الشهرة بالإضافة إلى أن الرحلة قد تكون هوساً بالنسبة للرحال لا يمكنه التخلص منه، وقد تكون الرحلة رغبته في التزود بالعلم أو القيام بأعمال رسمية أو لظروف تاريخية.

– وقد تكون الرحلة من اجل الجهاد أو تأديب الخارجين.

– وقد تكون من أجل التجارة والكشف المادي بعامة.

– وقد تكون الظروف التي تمر بها دولة سبباً في الرحلة، خاصة إبان قوة تلك الدولة وازدهارها الحضاري، مما يحفز مواطنها على رؤية البلاد الأخرى.

[1]- ناصر عبد الرّازق الموافى: الرّحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري) ص28،29.

– وقد تكون الظروف المواتية وتسهيلات الممنوحة للرحالة وأصحابها دافعا للقيام بها فقد اهتم الإسلام–على سبيل المثال– بأبناء السبيل وجعل لهم نصيبا مفروض من الزكاة والصدقات كما بث في نفوس أبنائه حب الغرباء، وتمثل هذا الحب في جهد فردي أو جهد جماعي أسفر عن تكوين جماعات مهمتها القيام بحاجة الغرباء كجماعة" الفتيان"، وناصر كبار رجال الدولة مثل هذه الجماعات، وانضم إليها بعض الخلفاء والسلاطين والأمراء والوزراء والقواد، وكذا حث الإسلام على السفر، وخفف من واجبات المسلم أثناءه ومن المحتمل أن إباحة تعدد الزوجات في الإسلام كانت تخفف بعض متاعب السفر ولا تجعل الرحالة المسلمين محل شكوك أو مصدر متاعب اجتماعية فكان بعضهم يتزوج في البلاد التي ينزل فيها فترة من الزمان[1].

ومن هنا نتوصل إلى دوافع أخرى للرحلة منها الجهاد، التجارة، واكتشاف حضارات دولة أخرى، بالإضافة إلى أن ديننا الإسلامي حثنا على الترحال لما له من إيجابيات.

ومن هنا كان التأكيد على وجوب معرفة أسباب كل رحلة ودوافعها. وفي حالة كون السبب ظاهريا لابد من التماس دافع ذاتي يكمن في داخل الرحال ويحركه، وإذا لم يتوفر هذا الدافع فقدت الرحلة قيمتها أصبحت مجرد وظيفة يقوم بها إنسان–إن طوعا أو كرها–

ومن هذا الصدد يجدر الإشارة إلى وجود فارق أساسي بين دوافع وأسباب الرحالة القدماء ودوافع وأسباب الرحالة المحدثين، ويتمثل هذا الفارق في انبهار القدماء لكل ما هو من عمل الإنسان، وإغفالهم_في الأغلب_لطبيعة البكر، بينما يغفل الرحالة المحدثون كل ما قد تداخلت فيه يد الإنسان بالتعديل أو التحريف إنهم يبحثون عن كل ما هو بكر وفطرة وبدائي.

التغيير العظيم الذي حث للرّحلات في رأي أحد الباحثين هو التغيير من الاهتمام بالإنسان وأعماله إلى الطبيعة وجمالها(..)إنه لم يكن هناك حب لطبيعة منذ كان الناس لا يحملون أي تقدير لجمالها إلا إذا تعرضوا لعمل الإنسان فيها أو" لبست ثوبا "وفي هذه الأيام

[1]- ناصر عبد الرّازق الموافى: الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص 29.

سافر الناس أساسا ليروا ممثليهم، وليعلموا المزيد عنهم، ولكننا تخلينا عن بعض غرورنا منذ ذلك الحين وأصبحنا في السبيل لأن نرى الطبيعة أعظم فنان، وأن عمل الإنسان يشوه_في الغالب_أكبر مما يحسن فيها.

إلا أن هذا الرأي يصدق فحسب على الرحالة الأوروبيين، أما الرحالة المسلمون فقد وازنوا بين الرغبة في رؤية بديع صنع الله في كونه، وبين ما صنعته يد الإنسان –خلقة الله في الأرض–[1] .

ومنه نستنتج أنه هناك فرق أساسي بين أسباب ودوافع الرحالة القدماء وأسباب ودوافع الرحالة المحدثين يتمثل في: تركيز القدماء على كل ما هو من عمل الإنسان وإهمالهم لما هو بكر وفطرة على عكس المحدثين الذي كان تركيزهم ينصب في كل ما هو بكر وفطرة وبدائي وإغفال كل ما تدخل فيه الإنسان.

2-أغراض الرحلة:

هناك العديد من الظروف التي تدفع بالشخص لقيام بالرحلات وتحمسه للتنقل بين الأوطان وهذه الظروف تختلف من شخص لآخر حسب الواقع السياسي والتاريخي والاقتصادي والاجتماعي فلكل رحلة أهداف معينة تسعى لتحقيقها منها:

2-1 أهداف دينية:

لاشك أنها أشرف الأهداف التي يتمناها الإنسان، حيث تتوق روحه لزيارة الأماكن المقدسة، استكمالا للدين أو طلبا للمغفرة أو أملا في التوبة، وقد يكون منها التبشير بدين الإسلام والدعوة إليه أو الرحلة في طلب الحديث ودراية.[2]

[1]- ناصر عبد الرّازق الموافى: الرّحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري) ص29،30 .
[2]- محمد بن مسعود الحمد: موسوعة الرّحلات العربية والمعرّبة المخطوطة والمطبوعة، القاهرة، مصر، ط1 ،الحمد 2007 ص 11.

هذا النوع من الرحلات يحمل قيمة دينية في طياته مثل زيارة مكة المكرمة من أجل التضرع لله تعالى وطلب الغفران وتوثيق الصلة به أو نشر الدين الإسلامي.

2-2 أهداف اقتصادية:

كالتجارة سواء بجلب السلع أو بيعها، وقد يكن الغرض بحثا عن فرصة عمل، أو لفتح أسواق جديدة أو لترويج منتج والتعريف به، أو لحضور معارض، أو مؤتمرات اقتصادية.[1]

فقد اشتهر العرب من القديم بالرحلات بين البلدان لأغراض اقتصادية من أجل تسيير أموراتهم التجارية وتحقيق الربح وفرص العمل بهدف توفير العيش الكريم.

2-3 أهداف علمية:

"رحل طلاب العلم شرقا وغربا للاستفادة من بحور العلم الذائع صيتها في مختلف المجالات، حيث لا تتوافر على النحو المأمول في بلاد بعينها وتتوافر في غيرها، وهذا الغرض يزداد الارتحال لأجله كثيرا، خاصة في السنوات الأخيرة، ومثلها أن يبعث المعلم للتعليم، وكذلك السفر للمؤتمرات العلمية ومعارض الكتب الدولية".[2]

اشتهر العرب بالبعثات العلمية من أجل زيادة الكم المعرفي والاستفادة من ثقافة وعلم الغير مثل البعثات العلمية الجزائرية للمشرق للاستفادة من نهضتها العلمية التي كان لها أثر واسع في الشعر الجزائري سبيل المثال.

2-4 أهداف ثقافية وسياحية:

"هذا النوع من الرحلات يندفع إليها راغبو الثقافة والمعرفة، ويمثلون نسبة كبيرة من عشاق الارتحال هذه الأيام، فأغلب السائحين من دول العالم المتقدم ينفقون الكثير من أجل هذا

[1]- محمد بن مسعود الحمد : موسوعة الرحلات العربية و المعرّبة المخطوطة و المطبوعة ، ص 11.
[2]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

الهدف...فيرغبون في التعرف على حضارة المصرين القدماء مثلا، أو حضارة الهند والصين أو لزيارة أثار المكسيك و شعوب المايا، ومشاهدة آثار لبنان وسوريا والأردن وتركيا".[1]

إذ يعد هدف السياحة والثقافة هو الأكثر انتشارا إذ أغلب الرحالة تكون غايتهم السياحة واكتشاف مختلف البلدان وعاداتهم وتقاليدهم ويخصصون ميزانية عالية لأجل هذا الهدف.

2-5 أهداف ترفيهية:

" وهي في الأغلب رحلات لمشاهدة المعالم الطبيعية، وممارسة الرياضة البحرية، أو النهرية، والتزحلق على الجليد، قضاء الصيف على السواحل والشواطئ، أو في ربوع البحيرات والشلالات والينابيع، الشتاء في البلاد الدافئة، والنزهات الخلوية، وقد يكون منها رحلات التسوق..."[2]

وهذا النوع من الرحلات يقوم به الرّحالة لغرض تحقيق متعة نفسية وشخصية فقط.

2-6 أهداف صحية:

" تزايدت الرحلات لغرض العلاج والاستشفاء والنقاهة. وقد يكون هرب من وباء أو طاعون، كما كان يحدث كثيرا في الماضي".[3] فهدف الرحلة هنا تقتصر في الحفاظ على الصحة والابتعاد عما يلحق الضرر بها.

2-7 أهداف سياسية:

" كثرت –أيضا– رحلات الدبلوماسيين وأعضاء الوفود التي يبعث بها الحكام من أجل تبادل وجهات النظر، وتوثيق العلاقات، أو تمهيدا لعقد اتفاقيات أو لفض المنازعات.

---

[1]- محمد بن مسعود الحمد : موسوعة الرّحلات العربية والمعرّبة المخطوطة و المطبوعة ،ص 12.
[2]- المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .
[3]- المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

ورغم أن العالم أضحى قرية صغيرة، وتنوعت بشكل مرعب الفضائيات التي تعرض كل شيء عن كل الأماكن، بحيث يمكن للقابع في بيته ان يشاهد كل العالم، تلبي غرضا واحدا، وهو مشاهدة العالم وبشكل انتقائي محدود وقاصر. ومع تحسين الأحوال الاقتصادية لبعض الأفراد. يتجه الملايين كل عام للرحلة التي تتجدد معها الروح وينشط بها العقل.

ومن هنا تأتي الرحلة بوصفها رئتين يتنفس عبرهما الإنسان الهواء الطلق النسيم العليل وبهما يغتسل القلب من الأدران. والرحلة _أيضا_ تمنح صاحبها عيونا جديدة تحسن الرؤية والتأمل، وتدفعه للعمل وتحضه وتحثه على الإتقان، وتدعوه للمنافسة والتفوق على ما لفت نظره من محاسن في سلوك الآخرين، وبها تنتقل الخبرات والمعارف والعادات والتقاليد".[1]

حيث كان الحكام العرب يقومون ببعث بعثات ديبلوماسية لمختلف البلدان ذلك من أجل تقوية العلاقات بين هذه البلدان وعقد اتفاقيات بينها على الرغم من توفر مختلف وسائل الاتصال والتواصل الاجتماعية إلا أن تبقى للرحلة مزايا خاصة تجعلها هي أحسن الطرق من أجل الاكتشاف.

3-فوائد الرحلة:

تترتب عن الرحلة العديد من الفوائد منها:

3-1-التمكن من الجوانب العلمية:

وذلك إن الإنسان يتأثر بالبيئة العلمية الجديدة وقد يؤدي ذلك إلى إصلاح آرائه واجتهاداته والإمام الشافعي برهان ساطع على ذلك، حيث كان له مذهبان قديم جديد، وقد سار إليه الشافعي بعد رحلته إلى العراق حيث لقى الإمام محمد الشيباني صاحبه أبي حنيفة كما أخبر بذلك ابن خلدون:" إن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم".

[1]- المرجع السابق، ص13.

3-2- نثر العلم للعالم:

قد تكن رحلة العالم أو الأديب من أسباب ظهور علمه، أو أدبه وانتشاره في الآفاق قال الأديب ***أبو بكر*** المعروف بابن بقي:

ولي هُممَ ستقذف بي بلاداً نَأَت إما العراق أو الشاما

ليكما تحمل الركبان شعري بوادي الطلح أو وادىْ الخُزاماَ

وكما تعلم الفُصحَاء أني خطيب علم السجع الحماما

وقد أطلعتهن بكل أرض بدورا لا يفارقن من التماما

3-3-تنمية الفضائل والكمالات في النفس:

وهذه يتطلع إليها الرحالون، يقصدون أهل الفضل للتأسي بأحوالهم وصفاتهم، ورحل الإمام الكبير "الحافظ يحيى بن يحيى بن بكر التميمي" إلى الإمام "مالك بن أنس" للسماع عنه، وبعد ان أتم ذلك بقي عند مالك فقال:" أقمت لأستفيد من شمائله"

كما أن الإنسان في الرحلة تتغير مألوفاته وعاداته، فيكتسب لمواجهة ذلك أخلاقا طيبة تغرسها الرحلة في النفس مثل خلق الصبر لكثرة ما يلاقيه الرحال من متاعب.[1]

[1]-عبد الله بن عثمان الياقوت: مخطط رسالة دكتوراه، أدب الرّحلة الحجازية عند الأندلسيين من القرن السّادس حتى سقوط غرناطة، إشراف محمود حسن زيني، جامعة أم القرى، السّعودية ،2001، ص84 .

الفصل الثاني:
حضور الرّحلة في رواية أربعون عاما في انتصار إيزابيل

1. ملخص أحداث الرواية
2. تجليات الرّحلة في الرواية
3. أهداف رحلة جوزيف ومظاهر تقمصه لشخصية إيزابيل

المبحث الأول: ملخص أحداث الرواية

بدأ سعيد خطيبي روايته أربعون عاما في انتظار إيزابيل بشخصيته" إيزابيل إيبرهارت " التي قام جوزيف برسم مخطوطاتها ودفنها في ساحة بيته البسيط الواقع بين المسجد وساحة الشهداء.

وقد كان هذا البيت يفتقر إلى أدنى شروط الحياة وهذا بعد مغادرته لبيته المريح في باريس واستقراره بالجزائر حوالي أربعون عاما بعد اعتناقه الإسلام رفقة صديقه سليمان، الذي تعرف عليه في الحرب العالمية الثانية والذي يعتبره شيخ الزاوية الريحانية أنه يتكون من شخصيتين الأولى قلقة والثانية هادئة، فقد كان سليمان رافضا لفكرة رسم مخطوطات إيزابيل إلا أن جوزيف كان مولوعا بشخصيتها إذ رسم لها ثلاثة عشر لوحة وبقي له لوحتين و قد كان خائفا من عدم إكمالهما بالجزائر وذلك لظروف سياسية المتمثلة في ما سوف يحدث بعد الانتخابات وأخرى صحية فقد كان المرض ينتهش جسده إلى درجة شعوره باحتمال إصابته بالزهايمر إلا أنه لا يزال يتذكر الكثير من الأحداث المهمة التي مر عليها مثل فراره من معتقل ألماني وإخفائه لهويته والمتمثلة في ملازم ثاني في جيش المقاومة، بالإضافة إلى ظروف مادية مزرية كان يمر بها.

بالرغم من إدعاء جوزيف لاعتناقه الإسلام إلا أنه كان يقوم بتصرفات تتنافى مع قواعد الدين الإسلامي منها شرب الخمر، كما كانت علاقته جد سطحية بجيرانه وقد كانوا يعرفون عليه إلا القليل ويعتبرونه دخيلا بينهم والرابط الوحيد الذي يجمعهم به هو سليمان.

أهلك جوزيف أثناء قراءته لمخطوطات إيزابيل فهي لم تكن صبورة كانت تحب سريعا وتهجر سريعا فلم تخلصها رحلاتها الطويلة في الجنوب، الصامت وجلساتها الصوفية التأملية. من قلقها المزمن والرغبة في التجديد، فقد قضى جوزيف شهرا كاملا في ترتيب صفحات مخطوطاتها المصفرة ونسخ بعضها، وعند قيامه بهذا العمل أحس أنها كانت تكتب

شبه مغمضة العينين وأنها كانت صورة مؤنثة منه فهي نصرانية متأسلمة مثله، لاهي أوروبية ولا هي عربية إلا أنه يعتبر نفسه أفضل منها لأنه حفظ حزب من القرآن وتعلم اللغة العربية على يد الشيخ" البردعى "في المسجد الكبير الذي نطق فيه الشهادتين. وكان جوزيف يتردد على مقبرة" عين الصفراء "لزيارة قبر إيزابيل الموثق باسم" أوسي محمود "وتمنى أن يدفن بجانبها بعد وفاته مثلما دفنت الشابة صافية التي اتبعت أسلوب إيزابيل في كتابتها. وكان جوزيف يتمنى دائما لقاء إيزابيل ومشاركتها حياتها. فهما يشتركان في بعض الصفات منها الصوت فهو رجل صوته صوت امرأة وهي امرأة صوتها صوت رجل.

ثم سرد جوزيف الحادثة التي وقعت لإيزابيل عند جلوسها بجانب الزاوية القادرية تترجم رسالة من الفرنسية للعربية لتاجر شاب حيث اعتدى عليها أحدهم بضربة قوية بسيف مما دفعها للفرار إلى مرسيليا هروبا من أهل المعتدي إلا أنها رجعت بعد مدة ثم ذكر رحلته إلى الصحراء من اجل مقابلة راهب فرنسي كان يقطن هناك لوحده من أجل الاستفسار حول مكوثهما بالجزائر رغم الظروف السيئة التي يعيشونها وتوصل في الأخير أن سبب مكوثه في الجزائر من أجل إرضاء الذات أما الراهب من أجل خدمة الرب.

دخل حياة "جوزيف" عدة شخصيات منها" زوينة "التي اشتغلت خادمة عنده والتي كان جوزيف يرتاح لها عكس "سليمان" الذي كان خائفا من نظرة الجيران إليهما بالإضافة إلى الطفلة "مليكة" الذي كان يتمنى رؤيتها وهي تنتقل من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشباب بالإضافة إلى الشاب" عبد الكريم طيطي "الذي كان "جوزيف" يخاف على الطفلة" مليكة" منه ويراوده تساؤلات إذ كان هذا الشاب يستطيع التحرش" بإيزابيل" في وقتها إلا أنه رأى هذا الشيء لا يمكن أن يحصل لأن تحت جسد إيزابيل الناعم يختفي" أوسي محمود".

كان جوزيف يتهرب من مرضه ويتحايل على الزمن بالكتابة والرسم من بينها إعادة رسم لوحات" إتيان "وسرعان ما كان يتخلص منها في سلة المهملات.

انتقاما منه لأنه كان يمقت قبيلة أولاد نايل ويصور نساءها كعاهرات دون أن يعرف تاريخهم المجيد فقد فكر جوزيف في ترجمة بعض مقاطع روايته" خضرا راقصة أولاد نايل " لأتينيا لأجل كتابة قصة للرد على ما جاء فيها من وهم و افتراءات.

كان جوزيف دائم التردد إلى كنيسة مهجورة لكن خفية على أعين الناس خوفا من أن يشككوا في انتمائه الإسلامي فالناس كانوا يجتنبون حتى المرور بجانب الكنيسة كي لا يخطئ أحد الظن بهم، كما كان يزور مقبرة النصارى الواقعة في حي شعبي" الأقواس " التي صارت هي الأخرى موحشة وكئيبة والتي تخفي بين قبورها قصة الطفل" أيوب " وأصبحت المقبرة مكانا لممارسة كل ما هو ممنوع وحرام وهي تختلف كثيرا عن مقبرة السنيين التي تحظى بعناية واحترام من طرف المسلمين وهي تشبه في جدرانها المقبرة التي دفنت فيها "إيزابيل إيبرهارت "وعند اقتراب موعد رحيله ومغادرة البلاد قام جوزيف بزيارة الزاوية الريحانية لملاقاة شيخها" سيدي لمنور " من أجل توديعه. وفي طريقه إليه مر بساحة أول نوفمبر التي علقت فيها صور المرشحين للانتخابات التي لم يبقى على موعدها إلا القليل والتي تحدد مصير جوزيف وسليمان.

بعدها مر بحي الزوالية الذي تنتشر فيه تجارة الحشيش والمهلوسات والسمسرة...وهذا المكان هو نفسه الذي تعرضت فيه جارته" حيزية "إلى سرقة قلادتها دون أن تستطيع استرجاعها واعتقال المجرم، عند محاولة" جوزيف "صعود الحافلة لأجل إكمال الطريق لم يحالفه الحظ لإيجاد مكان للجلوس بسبب الاكتظاظ فقد أكمل طريقه واقفا وهو يتخيل في "إيزابيل" تركب حصانها الأشهب في جو خال تنعدم فيه ملامح الحياة حتى وصوله إلى الزاوية الريحانية بأعلى التلة.

التقى جوزيف بالشيخ" لمنور "الذي استقبله استقبالا لم يتوقعه جوزيف حيث كان يتهرب منه وفي آخر اللقاء أخبره بأن يحمي نفسه ويحرص عليها هذا ما جعل جوزيف يشك في أن

شيخ لمنور تلقى تهديدات من حزب العدالة، وفي طريق عودته للبيت تخيل جوزيف كيف استطاعت إيزابيل في تلك الزاوية أن تعيش اثنا عشر يوما دون أن تمل أو تشعر بالغربة.

وفي صباح يوم الغد جاءت الشرطة لتحقيق في قضية مقتل" علجية "التي ماتت شنقا وكانت الشكوك تتجه نحو زوجها بسبب إدعائه لخيانتها له وبعد ذهاب الشرطة بقي جوزيف يتحصر على" علجية "ثم بدأ يتذكر في عائلته والخسائر التي لحقت به من بينها خساراته لأبيه وبعدها أمه التي لم تكن علاقته بها جيدة وهذا نفس الأمر بالنسبة لإيزابيل التي لم تكن علاقتها جيدة مع عائلتها وخاصة أمها بالإضافة إلى خسارته لجارته في الضيعة اسمها "شانتال" التي لا يعلم شيئا عنها في الوقت الحالي. بعدها بمدة قرر سليمان وجوزيف زيارة المقبرة من أجل الترحم على والدي سليمان قبل مغادرتهما البلاد هذا الأخير الذي ولد 1923 في عام الجراد مما جعله يعتقد أن الحظ أخطأ معه مرتين أولا عندما ولد في عام الجراد وثانيا عندما ولد في قبيلة" أولاد عاديل "المتنكرة لأبنائها، ويرى جوزيف أن خبر مغادرته البلاد لم يفرح له أحد أكثر من" الحاج علي "الذي كان يدين لجوزيف مبلغا ماليا أبى أن يرجعه له مما جعله يحس أنه متسول وشبه نفسه في هذه الحالة بإيزابيل التي كانت تعيش بالتسول والتدين من الناس دون الإرجاع هي وزوجها" سليمان آهني ".

ثم دخل جوزيف في قطيعة مع أصدقائه وجيرانه وأصبحت تراوده أفكار عديدة منها أنه استطاع أن يحقق إلا الأمنيات الصغيرة وأحلام صبيانية سخيفة وأنه لم يستطيع تحقيق انتمائه بدقة فهو لا عربي عن حق ولا فرنسي عن حق، وبعد ذلك دخلت البلاد في أزمة سياسية وأمنية مما جعل جوزيف يحس بالتغيرات التي طرأت على البلاد إلا أنه ظل متشبثا بالماضي مع عجزه عن تفسير ما يحدث حوله، فراوده تساؤل حول إذا عاشت إيزابيل هذه الأحداث ماذا كانت ستكتب، أتقف إلى جانب الدولة أم إلى جانب المدنيين إلا أنه توصل في الأخير إلى أنها أكيد ستقف بقلمها إلى جانب المدنيين وأنها ستنفي مثلما نفي أغلب الصحفيين.

بعدها تلقى جوزيف خبر وفاة" الحاج موحاد "الذي توفى إثر إصابته بسرطان القولون وأصبح جوزيف في هذه الأثناء كثير القلق فكل صوت بسيط حوله يصيبه بالإزعاج هذا ما أدخله في حالة تكاسل منعته من إكمال اللوحتين المتبقيتين وأصبح يحس أنه لم يستطيع أن يوفي بوعوده لروح إيزابيل وفي هذه الأثناء وصلته الرسالة التي وعده بها الشيخ لمنور، شيخ الزاوية الريحانية يخبره فيها أن الوضع في البلاد قد تغير كثيرا وأنهم لا يملكون إلا الدعاء والتضرع لرب العالمين، وبعدها مباشرة أصيب جوزيف بوعكة صحية إلا أنه صرح بأنه لا يخاف من الموت ولا من الملائكة لكنه ليس مستعدا على عكس إيزابيل التي كانت تخفي سكرات موتها وقرر جوزيف أن يوصي من يتكفل بدفنه بأن يدفنه بجانب إيزابيل.

وبعدها تكلم "جوزيف" عن الظروف المعيشية التي بدأت بالتدهور في البلاد، فتساءل كيف استطاعت" إيزابيل" أن تعيش في هذه البلاد، فبدأ كل شيء ينهار أمامه ويتغير ماعدا هو بقي متشبثا بأوراق إيزابيل، متمنيا أن يجد فيها شخصية تشبه شخصيته، وأن يقابلها حقيقة ولكن ليس في عمره هذا بل عندما كان في عمر العشرينيات، قبل أن تنقلب عليه كما انقلبت "جونيفياف "على" الحميد ".

وفي هذه الأثناء كان رمضان على الأبواب، فتحصر جوزيف على أنه لا يمكنه صيام رمضان كاملا في بوسعادة ولن يستمتع بفطور رمضان مع العلم أنه لم يكن يصوم بل يتظاهر بالصيام فقط. مثل" إيزابيل" التي كانت تأكل وراء ظهر زوجها وتُدَخنْ في بيت الخلاء، وبعدها تذهب وتصلي التراويح بين صفوف الرّجال والتي اتهمت بالجوسسة مرّة لصالح الإنجليز ومرة للفرنسيين وآخر مرة للألمان.

لكن ما يثير الجدل على ماذا تجسست إيزابيل في وسط رمال الصحراء، فقد راود جوزيف شك ما إذا الأهالي ينظرون إليه على أنَّه جاسوس أمْ لا، مع تيقنه أنّ البعض من الحمقى يشكون في إسلامه إلاّ أنه لا يهتم لظنونهم فهو يرى أنه بقي له أيام ويغادر فينسون عليه بالكامل.

وفي صباح أحد الأيام يسمع جوزيف الشعب يهتفون بشعارات من أجل إسقاط الرئيس ثم يعدها، عاد إلى البيت وسرد إلى سليمان ما رأى، ولكن ردة فعل سليمان كانت هادئة وأن هذا الأمر عادي، فهم يحظرون للانتخابات لكن جوزيف تأثر بتلك الهتافات.

انتشر في ذلك اليوم خبر وفاة" جينات لوكل لارك "الممثلة السينيمائة في مختلف الجرائد، بالإضافة إلى إعلان رئيس الدولة في خطبة له في التلفزيون على تخليه عن رئاسة الدولة، وبالتالي إلغاء الانتخابات. هذا ما أثار خوف سليمان، حيث أصبح يناجي" سيدو الجيلالي "أن يلطف بهم خوفا من مصيرهم في هذه البلاد و الواقع الذي ينتظرهم في باريس إذ يروا أنهم لا تربطهم به سوى بطاقة هوية جوزيف فقط. على عكس بيتهم في بوسعادة الذي كانوا شديدين الإرتباط به، لأكثر من عشرين سنة ولم يغيروا فيه شيء، على عكس "إيزابيل" التي كانت كثيرة التّنقل.

في أثناء هذه الظروف المعقدة جاء رئيس من المغرب وعاد الشعب بإصلاح الوضع إلا أنه حدث العكس، فقد تأزمت الأمور أكثر فأكثر، وهذا بسبب مطالبة حزب العدالة بإعادة الانتخابات وحقهم في الرئاسة، هذا ما جعل جوزيف يتمنى الطرد على أن يموت قَتْلاً فقرر الاتصال" بسعيد خطيبي " ابن سي لخضر خطيبي، الذي كان يقيم في باريس وهو صديق لوالده سنوات الحرب التحريرية الذي توفى بسكتة قلبية، يغادر ابنه سعيد المدينة إلى الجزائر العاصمة وبعدها إلى فرنسا بعد أن قضى أيام في السجن بسبب مشاركته مع الكاتب" مولود معمري "في احتجاجات ضد النظام، قبل حوالي عشر سنوات وقرر جوزيف إعطاء مخطوطات إيزابيل" لسعيد خطيبي "من أجل تحويلها إلى كتاب شرط أن يذكر اسمه في غلاف الكتاب وبعدها بقي" جوزيف" يتحسر ويودع بيته الذي احتواه لمدة أربعون سنة بكل ألم و حزن، لكنه كان من حين لآخر يصبّر نفسه بأنه ذاهب إلى فرنسا لقضاء عطلة فقط وأنه عائد إلى هذا البيت لامحال بعد استقرار الأوضاع.

حزم" جوزيف" و"سليمان" حقائبهما ونطلق نحو المطار، بعدها تذكر جوزيف بأنه نسي بعض أشيائه في المنزل من بينها كتاب يوميات إيزابيل، إلا أن سليمان أخبره بأن لا ينزعج وأنهم سيعودون عند تحسن الأوضاع، لكن جوزيف كان مدركا أن العودة أصبحت صعبة جدا.

عند وصولهم إلى باريس اتصل جوزيف" بزوينة "لكي يطمئنها على وضعهم فأخبرته أن بيته في بوسعادة قد سُرق الأمر الذي جعله يتساءل هل وجودوا اللوحات المدفونة أم لا.

ظل "جوزيف" ينتظر اتصال" سعيد خطيبي" الذي وعده به لكنه لم يتصل هذا الأمر الذي جعل جوزيف وسليمان يشعران بانهزام بسبب أنانيتهما، وأصبح يعيشان حالة نفسية مزرية.

أصبح "جوزيف" يحس أن ساعته اقتربت وأنه عليه أن يكتب وصية تنص على أن يدفن في مربع المسلمين في مقبرة" بيرلا شيزا الباريسية "لأن رغبته في الدفن إلى جانب الرحالة "إيزابيل" أصبح شبه مستحيل.

وفي الأخير شرع "جوزيف" في تدوين ما مرّ بحياته وحياة "سليمان"، لكي لا يترك فرصته لمن أراد تشويه سيرتهما، وأعجب سليمان بفكرته وطلب منه أن يقرأ له ما كتبه.

فقرر" جوزيف" أن يقرأ له ما دوّنه في الأسابيع الماضية أيضا، وطلب منه أن يتدخل للتصحيح له أو إضافة أي شيء مرَّ عليهما في حياتهما نسي "جوزيف" أن يدونها.

ومساعدته في سرد قصة الأربعون عاما التي جمعتهما قبل أن يتوقف قلب "جوزيف" على النبض أو يتصل به "سعيد خطيبي" ويسلم له مخطوطات "إيزابيل إيبرهارت" ويقطع علاقته بالأدب وأوصى جوزيف سليمان أن يعطي مخطوط الرّحالة إيزابيل" لأبن لخضر " بنفسه، في حالة وفاته.

- المبحث الثاني: تجليات الرحلة في الرواية:

الرحلة الجزائرية تقوم كما هو الشأن في نص الرحلة عامة على الذهاب والإياب، وهذا يولد بالضرورة سردًا مدًا وجزرًا، وخطيًا وأفقيا، يحرص فيه الرحالة على سرد الأحداث والشخصيات والامكنة والأزمنة، وقد تم توظيف الرحلة في رواية أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل، إذ قام جوزيف بطل هذه الرواية بسرد رحلته في الجزائر مع تقديم وتأخير في زمان الأحداث ومكانها بداية من:

1-1-زيارته للمسجد الكبير:

وهو المكان الذي اِعتنق فيه جوزيف الإسلام ونطق الشهادتين فهو عاش حياته في فرنسا كافرًا إلى غاية مجيئه للجزائر لظروف سياسية ومكث فيها وأعلن إسلامه "يوم اِعتنقت الإسلام ونطقت بتلعثم الشهادتين في المسجد الكبير"[1]، إلا أنه رغم اِعتناقه الدين الإسلامي وتعلمه للغة العربية وحفظه لبعض سور القرآن الكريم مثل سورة الإخلاص وسورة الناس وسورة قريش وسورة الأعلى "وأعرض عليها ما تعلمته من لغة العرب أرتل امامها بعض من صغار السور": "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ..." "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ.." و"لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ..." وسورة الأعلى التي احفظها عن ظهر قلب وقليلًا من متن اِبن عاشر وأبيات من قصائد الحاج عبد القادر دناوي، وأحكي له قصة الجنية والغول وخرافات الحب والموت والاِنتقام التي سمعتها من لسان سليمان"[2] وهو هنا يقصد إيزابيل التي لطالما تمنى اِلتقاءها وأن يشاركها يومياتها. إلا أن جوزيف رغم اِعتناقه الإسلام ظل يقوم بأفعال اِعتاد عليها في فرنسا تتنافى ومبادئ الدين الإسلامي مثل شرب الخمر فهو لم يتخل عن هذه العادة منذ أن كان عسكريا فهو كان مزاجيا وذو طبع حاد، إذ قام بالشرط على صديقه سليمان أن يقوم معه بتعاليم الدين الإسلامي مثل الصلاة في المسجد مقابل أن لا يتدخل في نزواته الشخصية "سليمان لم يكن

[1] – سعيد خطيبي: أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 1437،2012 ص 12.

[2] - المصدر نفسه، ص 31.

يروقه رؤية قنينة خمر في الغرفة أو في المطبخ، في البدء كان ينصحني على التوقف عن الشرب.

- "حبس الشرب يا لعميرة راك غير تهلك في صحتك
- لكن، بعد فترة وجيزة ملّ من تكرار الموضوع نفسه.
- أنا عسكري والعسكري ما يرجعش للوراء، قلت له.
- تذكر أني عشت بذهن متصلب ومزاج حاد ومتقلب وبقينا نواظب معًا على الواجب الديني من صلاة في البيت وفي المسجد مقابل أن يتغاضى عن نزواتي الشخصية"[1].

بالإضافة لشربه للخمر كان كذلك لا يصوم رمضان على أكمل وجه فهو كان يصوم يوم أن بعض اليوم فقط إذ كان لا يستطيع أن يصوم شهرًا كاملًا فهو لا يطيق التوقف عن الطعام والتحكم في نفسه إلا انه لم يظهر هذا أمام جيرانه، فقد كان يتداعى بانه مسلم ملتزم بقواعد الإسلام الخمسة، فجيرانه لم يستطيعوا اِكتشاف أن جوزيف لا يصوم فهو كان دائمًا يتفادى الخروج من البيت والالتقاء بهم "سوف أصوم يومًا أو بعض اليوم كما كنت افعل دائمًا وأحتفل وقت الغروب، ساعة الإفطار بمأدبة الأكل مع سليمان، اتلذذ بصحون "الشربة" والمرق وطاجين لحلو بالفواكه المجففة، فسليمان يعرف أني لا أطيق الاِمتناع عن الأكل والشرب ثلاثين يومًا كاملة، مع ذلك فهو يغض الطرف عني ولا يحرجني كما كان يفعل في السابق، بالنصح والموعظة وترديد الحكم والآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ودائمًا ما كنت أندمج في مزاج الجيران، أتعامل معهم كما لو أنني كنت مسلمًا مطيعًا لقواعد الإسلام الخمس، ملتزمًا بالركن الرابع من الدين لا أحد منهم شك يومًا في اِلتزامي برمضان، ففي النهار كنت في الغالب أتفادى ملاقاتهم أبقى في البيت لا أخرج سوى للضرورة"[2].

[1] – سعيد خطيبي: أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل، ص 23.

[2] – المصدر نفسه، ص 128.

وقد كان" جوزيف" في تصرفاته هذه يشبه" إيزابيل إيبرهارت" فهي كانت كذلك مدمنة على شرب الخمر ولم تكن تصوم رمضان كما كانت تدعي أمام المجتمع ويظهر هذا من خلال قول جوزيف "أخفي كبائري بسذاجة صبيانية كما كانت تفعل إيزابيل مع زوجها سليمان أهني تأكل وراء ظهره ثم تقيم صلاة التراويح بين صفوف الرجال معه، ندخن في بيت الخلاء في النهار وتقتسم الخبز وحساء الشربة معه على مائدة الإفطار في المساء، وهو كان يعلم بآمرها ويتغاضى، وهي كانت تدرك أن إسلامها بات مشكوكًا فيه، لكنها أحجمت عن المبادرة لتحسين عباداتها والتخفيف من آثامها"[1] .

كما أن جوزيف ورغم عيشه في بلد مسلم وهو الجزائر وإدعائه للإسلام إلا أنه لم يتقبل فكرة اِنتصار دول الإسلام على دول الكفار، عند حضوره لصلاة الجمعة وسمع الامام يدعو بالنصر للإسلام والمسلمين، لم يتقبل هذه الفكرة ورفض الدعاء معهم " اللهم اِنصر دولة الاسلام واجعل بلدك هذا بلدا مسلما وآمنا، وأعزه برئيس يطبق شريعة الاسلام و كتاب الله وسيرة نبيك... اللهم دمر الكفار تدميرا وهدم بيوت من لم يتبع هدي محمد... اللهم عليك باليهود والنصارى اذلهم واِجعلهم للمسلمين عبيدا" والمصلون يرددون من وراءه بصوت عال: آمين.

حينها لم أعرف ماذا أفعل؟... هل أنزل يدي وأثير انتباه من يجلس بجانبي، وفضول من حولي؟ أو أتظاهر بالدعاء معهم، وترديد آمين، لم أتقبل نبرة الإمام التي كانت ترتفع كلما كرر كلمة "اللهم" لقيت رافعًا يدي وأنا أشتمه واسبه في داخلي"[2].

1-2-اِنتقاله إلى مكة المكرمة:

حيث تعتبر مكة المكرمة مدينة الاسلام المقدسة على الرغم من اِحتلالها مكانة دينية مهمة قبل ظهور الاسلام، حيث يعتبرها جميع المسلمين مكانا مهما مقدسا بشكل كبير فهي مسقط النبي محمد صلى الله عليه وسلم، كما أنها تحتوي على الكعبة داخل المسجد الحرام، وهي عبارة عن بناء مقدس عمل على بنائه ابراهيم عليه السلام وتعتبر زيارة مكة واجب على كل مسلم اذا كان باستطاعته. فقد ذهب" جوزيف" إلى السعودية رفقه صديقه سليمان من أجل

1 – سعيد خطيبي: أربعون عامًا في إنتظار إيزابيل، ص 130.

2– المصدر نفسه، ص 92،91.

تأدية شعائر الحج، وقد تنقل من المدينة التي كان يقطن فيها التي وصفها بالترابية مستعملا سيارة رونو4 كوسيلة لسفرته " ثم أديت مناسك الحج رفقة سليمان في رحلة برية مضنية من هذه المدينة الترابية البكماء إلى مكة المكرّمة على متن سيارة رونو 4"[1].

1-3-خروجه في رحلات الصيد:

إذ كان"جوزيف" يقوم بخرجات صيد في غابة "عين الغراب" وهي غابة تقع في بوسعادة ولاية المسيلة إذ كان يخصص بندقية من نوع "داران" تتميز بماسورة طويلة من أجل اِصطياد الحيوانات المختلفة التي تعيش في تلك الغابة من يرابيع وأرانب برية، إلا أنه لم يكن يستفد من الحيوانات التي كان يصطادها حسب قوله في مياه الوادي " في هذه الغرفة الاسمنتية الضيقة ،مهترئة الجدران، مشققة الزوايا الاربع المطلية بالأصفر الباهت المكتظة بأغراض قديمة وملابس بالية ومقتنيات اربع عقود من الخردوات والقطع الفنية التي اكتب وأرسم فيها علقت بندقية صيد من نوع "داران" ذات ماسورة طويلة لم أستخدمها منذ أكثر من 10 سنوات كنت أستعين بها في رحلات الصيد في غابه "عين الغراب" راكضًا خلف اليرابيع والأرانب البرية التي كنت أصطادها ثم أتخلص من جثتها برعونة في مياه الوادي"[2].

1-4- اِنتقاله إلى عين الصفراء:

وهي مدينه من مدن الجزائر توجد في ولاية النعامة ذهب اليها جوزيف في فصل الشتاء متنقلا بواسطة حافلة، وتميزت هذه المنطقة بالبرودة الجافه أحس بها جوزيف بمجرد نزوله من الحافلة، وأقام في فتره زيارته لهذه المنطقة في نزل حقير يتواجد في وسط البلد فقد كان يفتقر الى أدنى شروط الراحة مثل التدفئة، إذ كان يضطر في الليل أن يغطي جسده بأربعة بطانيات ليتجنب برودة الليل القارسة وفي النهار كان يتجول في أرجاء المدينة ببرنوس من وبر الماعز.

قام جوزيف بزيارة قبر ايزابيل التي كانت تسمي نفسها "أوسي محمود" المتواجد في مقبرة سيدي بوجمعة ثلاثة مرات، وكان سبب زيارته الأولى لقبرها هو قراءة الفاتحة على روحها وإشعال شمعه أما زيارته الثانية لقبرها فكانت من أجل تحويط قبرها بالطوب فقد قام جوزيف بشراء الاسمنت والطوب ودفع أجرة العامل من ماله الخاص ليقوم بحماية قبر ايزابيل

[1]- سعيد خطيبي:أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل، ص 12.

[2] - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

من الكلاب الضالة، أما في الزيارة الأخيرة فقد ذهب من أجل توديعها قبل رحيله واشعال الشمعة الأخيرة على قبرها الا أنه في زيارته الأخيرة تفاجأ في عدم وجود الحائط الذي بناه حول قبر إيزابيل من طرف شخص مجهول مع ترك لافته فوق القبر كتب فيها أنه لا فرق بين مسلم ومسلم وهذا ما أثار انزعاج جوزيف وفي اليوم الموالي عاد الى بيته بعد رحلة برية دامت يوم كاملا.

"زرت ايزابيل أوسي محمود –كما كانت تسمي– نفسها في مقبرة سيدي بوجمعة ثلاث مرات المرة الأولى لقراءة الفاتحة على روحها وإشعال شمعة والثانية لتحويط القبر بالطوب بعد ما بلغني من كلاب ضالة كانت تنبش القبور واشتريت كيس اسمنت وطوبا ودفعت أجرة العامل الشاب الذي قام بالمهمة، وفي الزيارة الثالثة لتوديعها وإشعال شمعة أخيرة، وفي اليوم الثالث وجدت أن احدهم قام بإزالة الحائط الصغير وترك لافته كرتونية فوق القبر كتب عليها "لا فرق بين مسلم ومسلم إلا بالتقوى"[1].

كان يمكن لهذا التقي أن يعلم الكلاب لغته الخاشعة لتتوقف عن المساس بحرمة الموتى لا أن يتطاول علي بإيمانه[2].

1-5-رحلته الى الصحراء:

بعد وصول جوزيف الى الجزائر بأربعة أشهر فكر في زيارة راهب فرنسي، هذا الاخير كان يعيش في دير في الصحراء مهجور هجره كل الرهبان عائدين الى بلدهم، والدير هو عبارة عن مبنى عبادة لدى بعض الديانات مثل المسيحية، وهو مكان للعبادة والتأمل يتميز بوجود رهبان وراهبات يقومون فيه بالطقوس الخاصة بهم، وظل الراهب يعيش في ذلك الدير وحده رفقه الحيوانات من كلاب وقطط وفئران، وهذا الدير يقع في مكان معزول لا تصل اليه السيارات فجوزيف أوقفه سائق السيارة على حافة طريق بعيدة عن مكان الراهب فقد ظل يمشي في طريق ترابية صحراوية خالية سوى من شجيرات الشيح والعرعار المتفرقة هنا وهناك، اذ لم تكن هناك أي علامة حياة، فقد كان مكانا موحشا، وفي نهاية الطريق بان لجوزيف بيت صغير مبني من الطين والطوب بدون نوافذ ولا باب بل كان هناك الا ستار ازرق يفصل بين الداخل والخارج وعندما وصل الى البيت نادى جوزيف على الراهب "سيد

[1] - سعيد خطيبي: أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل، ص 27،28.

[2] – المصدر نفسه، ص 28.

برنار" فخرج الراهب وأدخل جوزيف معه الى الدير وجلس معا قرابة الساعتين، وكان ذلك الدير ضيقا أرضيته مغطاة بحصائر متصلا بغرفة صغيرة كانت تستخدم للصلاة مع وجود شمعات مشتعلة موزعة في الدير، وقام جوزيف بسؤال الراهب حول رأيه بمكوثه في مدينة الولي الصالح "سيدي ثامر" إلا أن الراهب لم يعطه جوابا كافيا بل ظل طول الوقت يتلو الصلوات والدعوات ويرد على أسئلة جوزيف حول البقاء في الجزائر او المغادرة بأجوبة فلسفية ثم أنهى جوزيف هذه الزيارة وعاد الى بيته في بوسعادة، "بعد أربعة أشهر من وصولي اليها فكرت في زيارة راهب فرنسي كان يعيش في دير في الصحراء هجره الرهبان الآخرون وعادوا الى بلدهم

وظل وحده يعيش هناك، رفقة كلاب وقطط وفئران وقوارض وحشرات سامة وأخرى مسالمة في دير لا تصل إليه سيارات نقل المسافرين فقد أوقفني سائق السيارة البيضاء على حافة طريق، وأخبرني أن "بيت النصارى" كما يسمونه يوجد على مسافة بضع دقائق مشيا، يومها تعلمت أن بضع دقائق في عرف الجنوبي الأسمر تساوي ساعة حسب التوقيت العادي، فقد بقيت أمشي ما لا يقل عن الساعة وأكثر بقليل على أرض ترابية سوى من شجيرات الشيح والعرعار(..) لاح لي بيت صغير من طين وطوب لا نوافذ فيه ولا باب، بل مجرد ستار أزرق قاتم يفصل الداخل عن الخارج، ولم أعرف لحظتها هل أنادي على الراهب أم أدخل مباشرة

ناديت عليه

Monsieur Bernard "سيد برنار" لكنه لم يرد

لم أسمع منه ما كنت أريد سماعه، لم يبلغني إجابة شافية راضية أو كافية لخياري.

ظل تقريبا صامتا طوال ساعتي الزيارة، يتلوا صلوات ودعوات ويرد على أسئلتي بالبقاء او مغادرة هذا البلد بإجابات فلسفية"[1].

1-6- رحلة العودة الى بوسعادة:

بعد انهاء جوزيف لزيارته للراهب في الصحراء شد رحال العودة الى بيته في بوسعادة وتقع هذه الأخيرة جنوب العاصمة الجزائرية والتي يطلق عليها اسم "بلد السعادة" وعند وصوله إلى البيت روى لصديقه سليمان الأحداث التي وقعت له اثناء رحلته والحوار الذي جرى بينه

[1] سعيد خطيبي: أربعون عامًا في انتظار إيزابيل، ص 34،35.

وبين الراهب " عندما عدت إلى البيت، في بوسعادة أخبرت سليمان بما جرى، فردّ علي خد الرأي اللي يبكيك ولا تأخذ الرأي لي يضحكك.

مرة أخرى لم أفهم ماذا يقصد.

مع مرور السنوات، يبدو أنني فهمت سبب صمت الرّاهب وعبارة سليمان، فالعيش هنا ليس خيارًا، بل هو قدر..."[1].

1-7- زيارته للكنيسة:

وتعتبر الكنيسة مكان تأدية مختلف العبادات للديانة المسيحية كما تعتبر أنها تجمع أو جمهرة من المسيحيين الذين يشتركون في نفس العقائد، وقد كان "جوزيف" دائم التردد إلى الكنيسة الموجودة في بوسعادة، وهي كنيسة متوحدة تتميز بالبرودة وتقع هذه الكنيسة وسط المدينة وهي كنيسة قديمة جدًا بنيت منذ قرن ونصف قرن، وكان جوزيف عند زياته لهذه الكنيسة يقوم بإشعال الشموع وينظف أركانها من الغبار ويقوم بتأدية الصلاة فيها ويدعو الرب أن يجنبه هو وصديقه سليمان كل مكروه ثم يقوم بالخروج من الكنيسة خفية من الناس مسرعًا من الباب الجانبي متجنبًا الخروج من البوابة الرئيسية حتى لا يراه الناس لأنهم كانوا يشككون في إسلامه، فالناس أصبحوا يتفادون السير في الرصيف المحاذي للكنيسة ليجتنبوا سوء الظن ونظرات الناس التي تشكك في إسلامهم، فقد أصبحت هذه الكنيسة تخلو من مظاهر الحياة، بعدما كان المتعبدين المسيحيين يترددون لها وتصلهم أطباق من المأكولات الشعبية الجزائرية فقد تغيرت معاملة الناس للمسيحيين الذين يترددون للكنيسة إذ أصبحوا يعاملونهم بحذر كبير وسوء نية "أنا الكائن الوحيد الذي يزور من حين إلى آخر الكنيسة المتوحدة الباردة، الصامدة، وسط المدينة التي تستميت في مكانها منذ قرن ونصف القرن أزورها بحب كأرملة مخلصة لزوجها، أحمل إليها شموعًا وأوقدها بنفسي، أنفض الغبار على الكراسي الخشبية وعلى الصلبان، وأصلي وعيني لا تغفل على حارس المكان الخمسين (..) وأخرج مهرولًا بعد أن أضع خمسة دنانير أو ستة في يد الحارس، من الباب الجانبي متجنبًا المرور من البوابة الرئيسية، فأنا أدخل وأخرج منها خفية(..)في الماضي كانت تصل المتعبدين من مسيحيين، على قلتهم أطباق من المأكولات الشعبية إلى الكنيسة، عندما ينظم احدهم حفلًا عائليًا كزفاف أو ختان، كان أصحاب الفرح يدعون المصلين إلى وليمة أكل

[1] - سعيد خطيبي: أربعون عامًا في انتظار إيزابيل، ص 35،36.

ويطلبون منهم الدعاء، أما اليوم، فالكل بات يعامل "المارابو" كما يسميه أهل المدينة بحذر وسوء نية"[1].

1-8- زيارته لمقبرة النصارى:

وهي مقبرة مخصصة للمسيحيين موجودة في حي شعبي يطلق عليها اسم "الأقواس" وسمي بهذا الاسم نسبة للأقواس الإسمنتية الكبيرة التي تزين مدخل المقبرة، وقد زارها "جوزيف" بعد غياب طويل إلا أنه تفاجئ بالوضع الذي آلت إليه فقد قام جيرانها بشقها بواسطة ممر ترابي يمرون عليه دوسا على حرمات القبور ، مشيا على الاقدام او بواسطة دراجات، بالإضافة إلى نبش القبور فهناك العديد من المتسولين الذين يعتقدون أن المسيحيين الأغنياء يقومون بدفن موتاهم مع ممتلكاتهم من مال وذهب.

هذه المقبرة تحمل بين قبورها قصة الطفل" أيوب "البالغ من العمر إحدى عشرة عامًا والذي تم الإِعتداء عليه في هذه المقبرة من طرف خمسة مراهقين فالمقبرة أصبحت مكان تجمع السكارى والمثليين وباعة الحشيش والحبوب المهلوسة كما أصبحت مكان لمواعيد العشاق المبتدئين، فمع توقف الدراسة تتعدد فيها مشاهد العشاق من طلبة الثانوية، هذا ما أثار إِستمتاع جوزيف إذ أصبح يرى أن للمقبرة دور في الحياة ليس مثل مقابر الأهل في فرنسا عابسة و مهجورة طوال العام، كما حملت هذه المقبرة قصة الطفل الرضيع الذي يبلغ شهرا من عمره تخلصت منه أمه بين قبري زوج فرنسي "مقبرة النصارى الواقعة في الحي الشعبي "الأقواس" الذي سمي كذلك نسبة للأقواس الإسمنتية الكبيرة التي تزين مدخل المقبرة على المخرج الجنوبي من المدينة بالقرب من سكنات عشوائية نمت سنوات ما بعد الاستقلال صارت أيضا موحشة وكئيبة زرتها قبل شهرين بعد اعوام من الغياب، وفوجئت بالوضع الذي آلت إليه، لقد شق جيرانه المقبرة ممرا ترابيا وسطها، وصاروا يقطعونها من طرف إلى الطرف الثاني مشيا أو على دراجات هوائية أو نارية اختصارا للمسافة، ودوسا على الحرمات، (..) سمعت من أحد جيران المقبرة أيوب، الطفل الأشقر الوسيم، ابن الحادية عشر من العمر، الذي إِستدرجه مراهقان اثنان(..) في داخلي، كان صوت يرتفع ويعارض غضبي، كما لو أنني في لا وعي، كنت أستمتع بالدور الذي صارت تلعبه مقبرة شيعت فيها

[1] – سعيد خطيبي: أربعون عامًا في إِنتظار إيزابيل، ص 52،53.

بعضا من أصحابي، على الأقل صارت لها دور في الحياة، هي ليست مثل مقابر الأهل في فرنسا، عابسة ومهجورة طوال العام"[1].

كان بجوار "جبانة" النصارى مقبرة "الإباضيين" هذه الأخيرة التي تحدث عنها جوزيف قائلًا بانها لا تفتح سوى صبيحة الجمعة، ولمدة لا تتجاوز الساعتين وهذا من أجل المحافظة على مكانتها وقدسيتها، إذا كان حارسها الستيني يقوم بفتح بابها دائما في الوقت نفسه في الساعة السابعة من أجل دخول الزوار لزيارة قبور أهاليهم إذ كان حارسها يمنع منعا باتا دخول الأطفال وأصحاب اللباس غير المحتشم من الدخول إليها مثل من يرتدي الشورط أو امرأة لا ترتدي خمار، وعند اِنتهاء الزيارة يقوم الزوار بإكرام الحارس بهدايا ونقود وتقديم الشكر الجزيل له " قبالة جبانة النصارى التي ينبش قبورها كلاب وأصحاب الكلاب، ويرتدها مخنثون وطامعون في المال والذهب، ينتصب عاليًا سور المقبرة الإباضية التي لم أدخلها يومًا ، وشاهدت ما بداخلها فقط من كوة الباب الحديدي ، فهي لا تفتح سوى صبيحة الجمعة لساعة أو ساعتين محافظة على قدسيتها قدر الإمكان، يأتي رجل سمين ، يشبه سليمان في وجهه الستين، دائمًا في الوقت نفسه في السابعة تحديدًا، يشرع الباب أمام زوار يأتون للترحم على أموات من أقاربهم ويمنع دخول الأطفال وغير الملتزمين بلبس محتشم من الدخول.."[2].

وفي حي الأقواس توجد ايضًا مقبرة السنة التي تتميز بنزول مجموعة من المخلصين كل اِثنين بعد صلاة الظهر من أجل تنظيفها وتنقيتها من الحشائش والفضلات تتميز هذه المقبرة بوجود ثلاث أبواب لا تغلق، أما يوم الجمعة فتتميز بالازدحام الكبير للنسوة الذين يأتيّن ملتحفات الأبيض أو الأصفر الفاتح من أجل الترحم على الأموات بالإضافة إلى رش القبور بعطور محلية رخيصة الثمن، ويلونون شواهد القبور بالحناء وهي أفعال كان يستغرب منها جوزيف "على بعد حوالي مئتي متر من مقبرة الاباضيين، في حي الأقواس دائمًا توجد مقبرة السنة، التي تنزل إليها كل يوم اثنين، بعد صلاة الظهر كتيبة من المخلصين لتنظيفها وتنقيتها من الفضلات والحشائش والأشواك، يدخلها الناس صامتون أو يتمتمون بأدعية

[1] – سعيد خطيبي: أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل، ص54،55.

[2] – المصدر نفسه، ص 56.

أبوابها الثلاثة لا تغلق ويوم الجمعة تزدحم بنسوة يأتين في الغالب متلحفات الأبيض أو الأصفر الفاتح للترحم على الأموات..."[1].

1-9- زيارته لزاوية الريحانية:

قام" جوزيف "بزيارة الزاوية الريحانية إذ خرج من بيته وظل ينتظر التاكسي التي تقوم بنقله إلى محطة الحافلات ومن ثم السفر متوجهًا لملاقاة الشيخ" لمنوّر" في زاويته، وهذا من أجل إبلاغه بإقتراب موعد رحيله إلى باريس، ويقدم له دعوة لزيارته في بيته المتواجد في الضاحية الجنوبية من باريس، وبعد نصف ساعة من الوقوف توقف أمامه سيارة بيضاء من نوع بيجو 404 فركب فيها والرعب يسيطر عليه في جو ملفوف بالغبار "بقيت أكثر من نصف ساعة واقفًا على الرصيف مقابل البيت أواجه ريحًا خفيفة محملة بالغبار، في اِنتظار تاكسي تنقلني إلى محطة الحافلات، في طرف المدينة للتوجه من هناك إلى "زاوية الريحانية" لملاقاة شيخها سيدي لمنور، وإبلاغه بإقتراب موعد رحيلي، ودعوته لزيارتي في الضاحية الجنوبية من باريس(..)توقفت أمامي بعد ملل تملكني من طول الإنتظار سيارة بيضاء من نوع بيجو 404..."[2].

وفي طريقه إلى الزاوية الريحانية مرّ" جوزيف" بساحة "أول نوفمبر" والتي يميزها اِنتصاب تمثال صخري وسطها لرجل يحمل بندقية كتب أسفله "تضحيتنا خير من الحياة"، كما تتميز هذه الساحة أيضًا بتجمع كبير للعاطلين عن العمل والباعة المتجولون وبعض تجار المخدرات ومع اِقتراب موعد الإنتخابات أصبحت جدران الساحة تكتظ بملصقات وقوائم بأسماء المترشحين للاِنتخابات، كان الناس يمرون من أمام هذه القوائم والصور دون أن يعطونها أي قيمة فحديثهم عن الإنتخابات والسياسة يرتكز في المقاهي مثل مقهى "لاجوناس" أو المساجد بعد صلاة الجمعة.

"مررنا بساحة أول نوفمبر التي ينتصب فيها تمثال صخري لرجل يحمل بندقية كتب أسفله "تضحيتنا للوطن خير من الحياة" ساحة يتناوب على اِحتلالها عاطلون عن العمل وباعة متجولون..."[3].

---

[1] - سعيد خطيبي: أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل، ص 57.

[2] - المصدر نفسه، ص 58،59.

[3] - المصدر نفسه، ص 59.

بعد خروجه من الساحة عبر" جوزيف "على حي يسمى "حي ديار الزوالية" وهو أكثر الأحياء اِكتضاضَا فهو يتميز ببنايات طوبية هشة تفتقر أغلبها لأدنى ضروريات الحياة مثل الماء والكهرباء، يعد حي الزوالية بؤرة للمجرمين وقطاع الطرق بالإضافة إلى باعة الحشيش وهو المكان الذي تعرضت فيه جارت جوزيف "حيزية" إلى سرقة قلادتها الذهبية أثناء ذهابها لشراء الصابون الأسود "..واِنعطف بعد ساحة نوفمبر يمينًا، وعبرنا حي "ديار الزوالية" أو هكذا يسميه الناس، وهو واحد من الأحياء الأكثر اِكتظاظًا ببنايات طوبية وهشة، وبعض منها لا يتوفر لا على الكهرباء ولا على الماء، يسكنه خصوصا أناس جاءوا من الأرياف القريبة ومن القرى المجاورة(..)هناك تعرضت جارتنا حيزية لسرقة قلادتها الذهبية..."[1].

بعد خروج جوزيف من حي الزوالية توجه إلى محطة الحافلات التي وجدها مكتظة، فبعد عناء كبير ركب جوزيف في الحافلة واقفا على طول ثلاثون كيلومتر، في الطريق من وسط المدينة إلى قرية الزاوية الريحانية، كانت الطريق خالية والأرض رملية تتفرق فوقها نباتات عشوائية وشوكية، ولا بشر يمر من هناك إلا نادرًا .

بعد رحلة طويلة وشاقة وصل جوزيف إلى الموقف الأخير ليكمل طريقه مشيًا على الأقدام صاعدًا إلى التلة التي يوجد في قمتها مقر الزاوية الريحانية التاريخية "في الطريق من وسط المدينة على قرية الزاوية الريحانية لا شيء يزاحم الخلاء، كانت أرضًا رملية تمتد أمام الناظر تشوهها أحيانًا بعض النباتات العشوائية والشوكية (..) لا بشر يمرّ من هناك إلا نادرًا(..)حيث نزلت لأواصل طريقي مشيًا صاعدًا إلى تلة كان يوجد في قمتها مقر الزاوية الريحانية التاريخية"[2].

عند وصول" جوزيف" إلى مدخل الزاوية وجد لافتة خضراء معلقة كتب عليها "أدخلوها بسلام" في تلك الأثناء كانت صلاة الظهر قد اِنتهت فتوجه "مقدم" الزاوية المسمى "عبد الله الرمشاوي" نحو جوزيف ليرحب به، سأله جوزيف إذا كان الشيخ "لمنور" موجود أو لا فأخبره بأنه يجلس مع واحد من طلبته في المقصورة، فدخل جوزيف عنده وتبادل أطراف الحديث، إلّا أن الحاج "لمنور" كانت إجابته متقطعة ويطيل الصمت هذا الأمر الذي جعل جوزيف يشعر بأن الشيخ لمنور يريد إنهاء الجلسة، فانسحب جوزيف من الجلسة مودعًا الشيخ

[1] - سعيد خطيبي: أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل، ص 61.

[2] - المصدر نفسه، ص 66،67.

"لمنور" وهو يستغفر الله ويسبح "على مدخل الزاوية ماتزال اللافتة الخضراء نفسها معلقة كتب عليها "أدخلوها بسلام آمنين" ولأول مرة بدت لي الآية نفسها كما لو أنها كلمة سريالية أو أنها تخاطب أناسًا آخرين غيري ولا تخاطبني(..)كانت صلاة الظهر اِنتهت لتوّها، و"مقدم" الزاوية عبد الله الرمشاوي يتقدم مهرولًا نحوي مرحبًا:

- أهلا بك الحاج
- قبل رأسي وأمسك القفة التي وضعت فيها ثلاث قنينات من زيت الزيتون، من يدي
- سيدي لمنور صلى معكم؟ سألته
- نعم راه هنا

– خرجت من الزاوية وانا أستغفر الله وأسبح بحمده، وأفكر في قصة أختلقها لسليمان وأن لا أذكر أمامه ما دار من حديث مشتت وقلق مع الشيخ"[1].

1_ 10 زيارته لبيت الحاج محاد:

زار "جوزيف" بيت الحاج "محاد" وهذا بعدما أخبره سليمان بخبر وفاة الحاج، مما أدخل بجوزيف في حالة حزن شديدة ويعتبر الحاج "محاد" شاعر شعبي وهو صاحب أول مخبزة في المدينة، عاش الحاج محاد مراهقة متأخرة مليئة بالمغامرات والطيش إلا أنه بعدها زهد في الحياة وتوجه للعبادة في المسجد، وكانت نهايته صعبة بعد معاناة كبيرة مع سرطان القولون الذي أنهك جسده، عندما ذهب جوزيف إلى بيت المرحوم لتقديم التعازي لم يجد إلا أناسا يعرفهم فهو لم يجد احدا في الباب ليقدم له التعازي وبعدما دجل للمنزل وجد في أحد الغرف، رجال من الجيران يتبادلون أطراف الحديث فاِنظم إليهم وظل معهم إلى أن غسل "الحاج محاد" وبعد صلاة الظهر وصل المشيعين القادمين من المسجد وحمل "الحاج محاد" وتوجه به إلى مقبرة في حي الأقواس، وأقيمت عليه صلاة الميت إلا أن جوزيف صلى مع المصلين بدون طهارة لأن الوقت لم يكن كافي للوضوء.

"الحاج محاد توفي، الدفينة بعد الظهر.

أخبرني سليمان بصوت متقطع وهو يغلي ماءًا لتحضير فطور الصباح (..)محاد الشاعر الشعبي، صاحب أول مخبزة في المدينة كان رفيقا طيبًا ورجلا عفوّا، كانت تجمعنا جلسات لعبة "السّيق التقليدية (..)سمعت من اِبنه الأكبر عبد القادر قبل أيام أن سرطان القولون

[1] - سعيد خطيبي:أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل، ص 67-72.

اِشتد عليه، قلّ وزنه جدا وكان يطرح دمًا مع برازه وينقل كل يومين أو ثلاثة أيام إلى المستشفى(..) بعد صلاة الظهر ووصول المشيعين القادمين من المسجد، حمل شباب الحي نعش الميت من البيت متجهين به إلى المقبرة في حي الاقواس على المخرج الجنوبي من المدينة بالقرب من جبانة النصارى، راحوا يتناوبون في حمله على أكتافهم وتواريت إلى الخلف مع سليمان ورحت اردد مع المشيعين ..."[1].

1_11 ذهابه إلى سوق الفلاح:

زار "جوزيف" سوق الفلاح وهو حسب رأيه مجمع تجاري اِسمنتي فسيح مقسم إلى أروقة ضيق، وكان جوزيف يحاول التغلغل بين أجساد الناس الكثيرة الاِكتظاظ من اجل شراء ما تقع عليه عيناه دون أن يسأل عن السعر أو يثبت في تاريخ صلاحية السلع، فقد أخبره سليمان أن التواريخ مزورة وأن الناس تموت بسبب تلك المأكولات إلا أن جوزيف لم يصبه أي مكروه بسببها.

وبعدما اِشترى كل ما يريد من حاجيات من زيت وطماطم ودقيق خرج جوزيف من سوق الفلاح متوجها نحو بيته وهو يصارع تعب الأثقال التي يحملها التي زادها مشقة الريح والبرد الذي كان جوزيف لا يستطيع تحمله مع تقدمه في السن.

" أحاول التغلغل بين الأجساد المتزاحمة، والمتشابكة فيما بينها كسمكة تسبح عكس التيار في هذا المجمع التجاري الإسمنتي الفسيح المقسم إلى أروقة ضيقة المسمى "سوق الفلاح"(..) أتقدم ببطء بين فوضى الصفوف والأجساد الواقفة والمتحركة ألتقط حاجيات سجلتها في قصاصة صفراء وأخرى لم أسجلها(..)تحملت الأثقال التي كنت اناوب في حملها بين اليدين اليمنى واليسرى، اكثر من نصف ساعة إلى غاية البيت، وقد زادها مشقة صفعات الريح البارد الذي كان يتسلل من مسامات وجهي ويذهب مباشرة إلى نخاع العظام ليزيد من محنتي."[2].

1_12 رحلة العودة إلى باريس:

بعد مكوث "جوزيف" وصديقه "سليمان" لمدة طويلة في الجزائر قررا العودة إلى فرنسا مرة أخرى دون أن يكونا فرحين بهذه العودة لأنهم صعب عليهم فراق منزلهم بالجزائر وذكرياتهم

[1] - سعيد خطيبي: أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل، ص 100،101.
[2] - المصدر نفسه، ص 109-111.

فيه فبعد حزم حقائبهم وتوديع جيرانهم وأصدقائهم توجها في سيارة تاكسي بيضاء أخدتهم إلى محطة المسافرين ومن هناك في سيارة نقل جماعي صفراءّ إلى مطار الجزائر العاصمة فبعد مسافة أربع ساعات تذكر جوزيف أنه نسي أشياء كثيرة في المنزل إلا أن العودة كانت مستحيلة فأكملا جوزيف وسليمان الطريق إلى المطار وكانا يتحسران على حياتهم التي تركوها وراءهم وبعد وصولهم إلى شقتهم المتواجدة في الضاحية الباريسية قام بتنظيفها ووضع أغراضهم وبعدها اِتصلت بجوزيف "زوينة" وهي جارته في بوسعادة لتخبره بان بيته تعرض للسرقة هذا ما زاد من غضب وتوتر جوزيف وسليمان فظل في شقتهم في باريس يشاهدون مرور الأيام أمام أعينهم بضجر يستمعون لأخبار البلد والشقة التي هجروها عبر الراديو "رجاء اعتني بنفسك زوينة، واِعتن بالبيت سأتصل بك في أقرب فرصة بارك الله فيك أخبئ نسخة أخرى من مفاتح البيت أسفل سرير غرفة النوم، ثم ألتحق بسليمان الذي كان يقف على الباب مع حقيبته وكيسين بلاستيكيين (..) أركب سيارة التاكسي البيضاء لتأخذنا إلى محطة المسافرين ومن هناك في سيارة نقل جماعي صفراء إلى مطار الجزائر العاصمة (..) وصلنا إلى الشقة في الضاحية الباريسية وليتنا لم نصل ولم نفكر فيها قط، لسعنا بردها وجفاؤها، نظفناها في الصباح الأول من وصولنا (..)ثم جاء في اليوم الثالث صوت زوينة في الهاتف حين اِتصلت بها لأطمئنها وأطمئن عليها وعلى حال البيت في بوسعادة ردّت وهي تبتلع دموعها.

- دخلوا للدار من النافذة وسرقوا كل شيء ..."[1].

[1] - سعيد خطيبي، أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل، ص 150-152.

-المبحث الثالث :أهداف رحلة جوزيف ومظاهر تقمصه لشخصية إيزابيل:

3-1- الأهداف:

لكل رحلة أهداف يسعى الرحال لتحقيقها وتكون بمثابة محفز له منذ بداية القيام بهذه الرحلة وجوزيف قام برحلته من فرنسا إلى الجزائر واِستقر في مدينة بوسعادة وحقق من وراء رحلته هذه عدّة أهداف نذكر أهمها:

3-1-1- اهداف دينية: وتتجلى الأهداف الدينية في رواية أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل من خلال زيارة ما يلي:

المسجد الكبير: حيث يعرف المسجد بأنه اسم لمكان السجود والمسجد بكسر الجيم مفعل من سجد يسجد بكسر الميم الذي يعني الحمرة والتي تعني الحصيرة الصغيرة، وهو كل موضع يتعبد فيه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "جعلت لي الأرض مسجدًا"[1]، وقد ذكرت كلمة المسجد في القرآن الكريم عدة مرات منها ﴿ سُبْحَانَ الَذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[2] والمسجد بصفة عامة هو المكان الذي تؤدى فيه صلاة الجماعة أو الجمعة أو صلاة العيدين وكثيرا ما كان يسمى جامع لخطبه.

"والعناية بالمساجد كانت ظاهرة بارزة في المجتمع الجزائري المسلم، فلا تكاد تجد قرية أو حي في المدينة بدون مسجد، فقد كان المسجد هو ملتقى العبادة مجمع الأعيان ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية وهو قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة، اد حوله كانت تنتشر المساكة والأسواق والكتاتيب"[3].

---

[1] – خيرة بن بله، المنشآت الدّينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008 ص 32،33.

[2] – سورة الإسراء، الآية 01.

[3] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافية ، 1500-1830 ، دار الغرب الإسلامي،ط1 ،ج1،1998، ص 27.

ومنه فالمسجد هو بيت من بيوت الله تعالى يتوجه إليه المسلمون من اجل تأدية فرض من فرائض الإسلام وتقوية علاقتهم بالله تعالى، أما جوزيف فقد توجه إليه بهدف اِعتناق الدين الاِسلامي ونطق الشهادتين.

مكة المكرمة: هي مدينة مقدسة لدى المسلمين بها المسجد الحرام والكعبة التي تعد قبلة المسلمين في صلاتهم وهي أقدس بقاع الأرض وأطهرها فهو المكان الذي ولد فيه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ويتوجه إليها الناس من جميع انحاء العالم للحج والعمرة والزيارة، وقد جاء اسم مكة في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[1] وقد ذهب جوزيف رفقة صديقه سليمان إلى مكة المكرمة بهدف القيام بشعائر الحج.

الكنيسة: حيث تعرف الكنيسة بأنها مكان العبادة للديانة المسيحية وتعني كذلك تجمع أو جمهرة من المسيحيين الذين يشتركون في نفس العقائد، وقد عرفت الجزائر تنوعا ثقافيا ودينيا بحكم عوامل تاريخية و توافد حضارات وديانات مختلفة عليها عبر التاريخ من بينها الديانة المسيحية والتي خلفت العديد من الكنائس أشهرها:

- **كنيسة السيدة الأفريقية بالعاصمة:** تم تدشينها عام 1872 بعد ان اِنطلقت الأشغال فيها عام 1855 بإصرار من اِمرأة فقيرة تدعى "مارغريت بيرغر" اِستقدمها القسيس "بافي" من فرنسا إلى الجزائر.
- **كنيسة سانتا كروز بوهران:** كان بناؤها عام 1850 فوق جبل مرجاجو بوهران يعلوها تمثال العذراء الذي تم تثبيته عام 1873 وهي من أشهر الوجهات السياحية في عاصمة الغرب الجزائري.
- **كنيسة القديس أوغسطين بعنابه:** تقع فوق هضبة تطل على ميناء عنابة شرق الجزائر وواجهتها البحرية، بنيت ما بين 1881-1900.

[1]- سورة الفتح، الآية 24.

- **كنيسة القلب المقدس بالجزائر:** تتميز بنمطها المعماري المميز الذي إستوحاه ثلاث مصممين من إنجيل يوحنا تم تصنيفها كاتدرائية رومانية كاثوليكية عام 1963 وتوجد كذلك عدة كنائس أخرى في الجزائر من بينها الكنيسة الموجودة ببوسعادة والتي تم تحويلها إلى متحف المجاهد وقد ذهب إليها جوزيف خفية عن أعين الناس من أجل طلب الحماية من الرب وأن يبعد عليه وعلى صديقه سليمان كل مكروه.

الدير: هو مكان إختلاء الرهبان وعادة ما يكون بعيدة عن زحمة المدينة في الصحراء ولكل دير رئيس يهتم بالرهبان وبه مسكن يختلي فيه الراهب ليعيش منفردًا في مناجاة الرب وليتعبد، وهناك العشرات من الأديرة القبطية في مصر، وأول دير في العالم هو دير "القديس الأنبا أنطونيوس" المصري أب الرهبان في العالم أجمع، ويأتي الدير في المرتبة الثانية بعد كاتدرائية ثم الكنيسة في المرتبة الثالثة.

"جوزيف" بعد وصوله إلى الجزائر بأربعة أشهر قام برحلة إلى الصحراء من أجل لقاء راهب فرنسي الذي يعيش في دير يسمى "بيت النصارى" ليأخذ رأيه حول فكرة إستقراره في مدينة "الولي الصالح سيدي ثامر".

المقبرة: وتعرف المقبرة بانها مكان يدفن به الأموات سواء بشكل فردي أو جماعي والمقبرة تصنف حسب ديانات الأموات فهناك مقابر مخصصة لدفن المسلمين وأخرى لدفن المسيحيين بالإضافة للإباضيين واليهوديين، ومن أشهر المقابر في الجزائر نجد:" مقبرة العالية"،" مقبرة القطار"، "مقبرة سيدي أمحمد بوقبرين" بالإضافة إلى مقبرة "سيدي عبد الرحمان الثعالبي"، هذا فيما يخص المقابر الإسلامية، كما توجد كذلك مقابر مسيحية عديدة في تراب الجزائر منها:" مقبرة المسيحيين" بولاية سطيف وكذلك "مقبرة اليهود" بقسنطينة.

وقد زار جوزيف العديد من المقابر في الجزائر من بينها: مقبرة النصارى، ومقبرة السنيين بالإضافة لمقبرة عين الصفراء بولاية النعامة، وذلك بهدف زيارة قبر إيزابيل إيبرهارت وترميمه.

التعزية: هي بمعنى التصبير وذكر ما يسلي صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته، وذلك لأن التعزية من العزاء وهو الصبر والتصبير ويكون بالأمر بالصبر وبالحث عليه وذكر الأجر الذي ينتظر الصابرين وللتعزية أجر كبير عند الله تعالى ومنه فلتعزية بعدين: بعد ديني وبعد إنساني،وقد ذهب جوزيف إلى بيت" الحاج موحاد" المتوفى بعد سماعه لخبر وفاته من أجل القيام بواجب التعزية ومساندته لأبناء الحاج.

الزاوية: لقد عرفت الطرق الصوفية اِنتشارًا واسعا في الجزائر خاصة في العهد العثماني مما ادى إلى كثرة المباني مثل الزوايا ونحوها المخصصة لها، ففي المدن والأرياف و في الجبال الشاهقة والصحاري القاحلة عاش معظم المتصوفة، يبثون عقائدهم ويلقنون أتباعهم الأذكار والأوراد مبتعدين عن صخب الحياة الدنيا مؤثرين العزلة والعبادة، وكثيرًا ما كانوا يعلمون المريدين والعامة مبادئ الدين أيضا فإذا اِشتهر أحدهم بين الناس أسس له مركزًا يستقبل فيه الزوار والغرباء والأتباع ويعلم فيه الطلبة ويتبرع الناس لهذا المركز فيكبر ويثري ويتضاعف قُصّادُه ومريدوه، ويصبح اسم المتصوف "المرابط" علما على المكان، ويصبح المكان يدعى بين الناس زاوية سيدي فلان او رباط سيدي فلان فإذا مات "سيدي فلان" يدفن في الزوايا او في الرباط ويصير الضريح علامة على الزاوية وهذه علامة على الضريح ويرث الأبناء والأحفاد مكانة وعمل "سيدي فلان" وتزداد قداسة الزاوية او الرباط بين أهل الناحية وتنتشر سمعتها ونفوذها إلى نواح أخرى بعيدة وهكذا.

وكانت كل مدينة كبيرة او صغيرة، محروسة بولي من الأولياء فهو الذي يحميها من العين والغارات ومن نكبات الطبيعة ومن طمع الطامعين، فهناك صلحاء تلمسان ومدينة الجزائر ومدينة قسنطينة وبجاية والمدية، وقد ذكر "ابن مريم" كثيرا من صلحاء وأولياء تلمسان وأضاف محمد بن سليمان قائمة أخرى منهم في كتابه "كعبة الطائفين" الذي لم يكتف بأولياء وصلحاء تلمسان بل شمل صلحاء مدن اخرى، وكتب "محمد الموفق" المعروف "بابن حواء" عن صلحاء الشلف في أرجوزته "سبيكة العقيان" وكتب "محمد الجوزي" عن اولياء أغريس في شرحه على "العقيد النفيس" ومنه نستنتج أن الجزائر كانت تعج بالزوايا والأضرحة

والقباب المقامة على الأولياء والصالحين، فبالإضافة إلى زاوية وضريح عبد الرحمان الثعالبي وزاوية الولي داداة، وزاوية عبد القادر الجيلاني هناك قائمة طويلة أخرى نذكر منها زاوية سيدي محمد الشريف وزاوية سيدي أحمد بن عبد الله الجزائري وسيدي جمعة وسيدي الكتاني ...إلخ[1].

قد زار جوزيف خلال فترة إقامته بالجزائر عدّة زوايا من أجل اِلتقاء شيخها الفرنسي الأصل وذلك بغرض الاطمئنان عليهم وأخذ رأيهم في العديد من القضايا التي تخصه وتخص البلاد ومن بين الزوايا التي زارها لدينا الزاوية "الريحانية" التي يقيم بها "شيخ لمنور".

3-1-2- هدف ترفيهي:

رحلات الصيد : هي خرجات فردية أو جماعية للطبيعة من أجل اِقتناص الحيوانات أو الطيور أو الأسماء باِستخدام الأساليب والأدوات المتنوعة ويعتبر الصيد أحد الأنشطة والممارسات المهمة في النظام البيئي.

وقد حثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليم أولادنا الصيد لما له من فوائد وكان جوزيف خلال فترة إقامته في الجزائر يخرج في رحلات صيد في غابة "عين الغراب" المتواجد في مدينة بوسعادة ولاية المسيلة من اجل الترفيه عن نفسه وهذا عن طريق اصطياد مختلف الحيوانات ثم التخلص منها.

3-1-3 هدف سياحي:

وقد تجلى الهدف السياحي في الرواية من خلال زيارة" جوزيف" لحي ديار الزوالية ومشاهدته وسرده لتفاصيل التي تميز هذا الحي سواء ما يخص بناياته الطوبية ولهشة أو العادات السيئة والآفات الاجتماعية التي تنتشر فيه من تجارة حشيش وسلاح وسمسرة وغيرها.

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافية،(1500-1830)،ص262-264.

ساحة أول نوفمبر: تعتبر ساحة أو نوفمبر قلب مدينة وهران وعاصمة الحياة فيها، إذ تم إنشاء هذه الساحة تكريمًا لشهداء الثورة التحريرية الجزائرية المشهورة التي اِستعادت حرية الجزائريين من الفرنسيين وتعتبر هذه الساحة أحد أهم الأماكن السياحية في الولاية، وقد مرّ جوزيف بهذه الساحة من اجل اِكتشافها فوجدها في تلك الأثناء مكان للحملات الانتخابية لما تحمله من صور وقوائم للمترشحين للانتخابات.

3-4-1- أهداف اِقتصادية:

سوق الفلاح: حيث يعرف السوق بأنه مكان عام يلتقي فيه البائعون والمشترون لبيع وشراء المنتجات والأوراق المالية والخدمات، إما مباشرة أو من خلال وسطاء، فقد تكون الأسواق في الهواء الطلق أو داخل مباني، وكان جوزيف ينتقل إلى سوق شعبي "سوق الفلاح" من أجل اِشتراء ما يحتاجه في حياته اليومية من مستلزمات مثل الخضر والفواكه والحبوب ... إلخ، وقد كان يشتري بكمية كبيرة خوفا من اِنقطاع السلع وهذا بسبب ما كانت تصرح به الحكومة بأخبار اِنقطاع السلع.

3-2- تقمص جوزيف لشخصية إيزابيل إيبرهارت ومحاكاتها:

- مكان الاستقرار : وهو بوسعادة إذ اِستقر جوزيف عند مجيئه للجزائر في مدينة بوسعادة ولاية المسيلة وهي نفس المدينة التي اِستقرت وزارتها إيزابيل كما حضرت مدينة بوسعادة في كل من كتابات إيزابيل وجوزيف.

- وتقع مدينة بوسعادة على بعد 245كم عن العاصمة الجزائرية وتتصل اِتصالًا جيدًا مع المراكز الحضرية الأخرى عن طريق البر وتقع المسيلة على بعد 70كلم شمال شرق بوسعادة وبسكرة على بعد 175 كلم شرقا وبرج بوعريريج على بعد 130 كلم شمال شرق بوسعادة والجلفة 120 كلم جنوب غرب، وتنقسم بوسعادة إلى المدينة القديمة قصار، وهو داخل أسوار المدينة والمدينة الفرنسية جنوب، وعرفت بوسعادة منذ القديم

كمركز تجاري مهم ينتج ويسوق الحلي والمجوهرات والسجاد والصناعات التقليدية مثل الخناجر "الموس لبوسعادي" إضافة لكونها مركزًا تجاريا للرحالة فهي موقع سياحي وطني خاصة في فصل الشتاء وتشتهر في الصيف بجمال منظر الواد المسمى واد بوسعادة.

- محاولة الكتابة على منوالها "لست أقارن نفسي بإيزابيل إيبرهارت لكني سأحاول أن اكتب شيئًا يشبه ما كتبته وأتغلب على خوفي من اِقتراب الأجل ودنوّ موعد الرحيل من هذا البلد"[1].

- تشبيه جوزيف لنفسه بإيزابيل من حيث الجانب الديني فكلاهما أعلن إسلامه دون التمسك بتعاليم الدين الإسلامي مع مزاولتهما لتعاليم دينهما: جوزيف "المسيحية" إيزابيل "النصرانية" فجوزيف مسيحي متأسلم وإيزابيل نصرانية متأسلمة " إيزابيل كانت صورة مؤنثة مني نصرانية متأسلمة قلقة وملعونة لا هي أروبية ولا هي عربية"[2].
- ذهاب جوزيف إلى الزاوية الريحانية التي عاشت فيها إيزابيل إيبرهارت اثنى عشر يومًا، فقد اِستغرب جوزيف عند زيارته لهذه الزاوية كيف اِستطاعت إيزابيل أن تمكث فيهذه الزاوية دون ان تشعر بأي ملل.

"في الحافلة عن طريق العودة، ظلت عبارة الشيخ (البلاد تمشي كشاة عمياء) ترن في أدني لدقائق، ثم تخيلت كيف عاشت إيزابيل إيبرهارت في تلك الزاوية اثنى عشر يوما، بلياليها دون أن تمل أو تشعر فيها بغربة"[3].

- تشبيه جوزيف نفسه بإيزابيل في صفة التسول، فهو يدين مبلغ من المال إلى الحاج علي، نائب رئيس المجلس البلدي وأبى أن يعيده إليه وظل يسعى وراءه من أجل اِسترجاعه

[1] – سعيد خطيبي: أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل، ص 15.

[2] – المصدر نفسه، ص 26.

[3] – سعيد خطيبي: أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل، ص 72.

مما جعله يحس بانه يشبه المتسولين مثل إيزابيل التي كانت تعيش بالتسول والتدين دون إرجاع " ... لا يهم، إيزابيل كانت أسوأ حالا مني في علاقاتها بمدينيها كانت تتهرب منهم هي وزوجها "سليمان آهني" وتخفي وجهها أعينهم كي لا تدفع ما عليها من ديون، لكن إيزابيل كانت فعلًا في وضع مادي صعب ، كانت فعلا بحاجة للمال لتعيش ولتأكل خبزًا وتدفئ جسدها النحيف، كانت تتسول ولكن بطريقة محترمة"[1].

- خوف جوزيف من أن ينتهي به المطاف مثلما اِنتهى بإيزابيل إيبرهارت في قبر بارد وموحش دون زيارة أحد من الأهل وأقارب وحتى أصدقاء " لو مت في هذه المدينة التي تفوح منها رائحة الوساوس، سأضمن على الأقل أن يزورني سليمان في مرقدي مرة في الأسبوع أو مرة في الشهر، يرش ماء على تربة قبري و يؤنس وحشتي، لكن لو مات هو قبلي فلن ألاقي سوى مصير شبيه بمصير إيزابيل، سأرحل كلقيط وأريح العالم مني وأستقر في قبر بارد وعفن وربما بلا شواهد وبلا هوية"[2]، كما يرى نفسه يشبه إيزابيل في عدم الخوف من الموت مثلها، فالموت لم يكن يخيفها " لست خائفًا من الموت ولا من ملائكته لكني مستعدًا له كما يجب لمحارب واجهه اكثر من مرة حالي يشبه حال إيزابيل، فالموت لم يكن يخيفها بل كانت تخيفها سكرات الموت وآلامه فقط، كانت تريده موتًا رحيمًا وأملسًا ولينً وودودًا فحملها الوادي وجرى الطوفان بجسدها النحيل بين الصخور، عذبها نكل بها وهشم أضلاعها ثم خطف روحها "[3].

---

[1]– المصدر نفسه ، ص 85.

[2] - سعيد خطيبي: أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل، ص 102.

[3] – سعيد خطيبي: أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل ، ص 107.

- ضف إلى ما سبق أن جوزيف كان يتمنى أن يدفن بجانب قبر إيزابيل إيبرهارت "ودفني على مسافة متساوية من قبري إيزابيل إيبرهارت وصافية كتو، وأن يكتب على شاهدة قبري " هنا يرقد عبد الله الحاج جوزيف رينشار" المسكون بروح الرحالة الرومية"[1].

- كان جوزيف يتوقع أنه لو قابل إيزابيل وهو لا يزال في ريعان شبابه ستكتب عليه وتجعله شخصية في قصصها "... بين نهاية العشرينيات وأواسط الثلاثينيات من العمر، لما كنت بمزاج عسكري، حالم وعبثي أصفف شعري بـ "القومينا" مثل سليمان في شبابه، لما كنت مكتمل المفاتن الرجولية ومرح الروح قليلا متعصبًا لآرائي وميالا للتعرف على الناس،ملما بشغف في اكتشاف الحياة ، ومؤمنا بقدرتي الساذجة على تغيير بعض من وجه العالم القبيح ، لو قابلتني إيزابيل حينها كانت ربما ستجعل مني شخصية ورقية وقصصية كانت ستكتب عني وهي تسحب نفسها عميقًا من لفافة الحشيش أو تحتسي بعض الأفنتيس"[2].

- وكذلك شبه جوزيف نفسه بإيزابيل في نسيان البلد الأصلي لهما فهي لم تعرف شيء عن بلدها روسيا وهو لا يعرف ماذا يحصل في بلاده وراء البحار ولا كيف أصبح يعيش الناس " لقد هجرت بلدي، ولم أعد أعرف عنه شيئا مثل إيزابيل التي لم تعرف شيئا عن بلدها الأصلي روسيا، لست أعرف فعلا ماذا يحصل وراء البحر ولا كيف يعيش الناس، ولا سعر الخبز أو سعر الكيلو غرام الواحد من البطاطا أو السكر، نسيت حتى شكل صوامع الكنائس، ولكنت البشر في الشارع أنا فرنسي بلا اِنتماء..."[3].

- أما الاِختلاف الذي كان يراه جوزيف بينه وبين إيزابيل هو أنها عاشت متنقلة من بيت إلى بيت آخر كاليربوع كما وصفها أما هو فلم يتنقل من بيته بل كان وفيا للمكان الذي عاش

[1] – المصدر نفسه، ص 108.

[2] – المصدر نفسه، ص 121.

[3] – سعيد خطيبي: أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل، ص 141.

فيه أولى ذكرياته في هذا البلد " على خلاف إيزابيل إيبرهارت التي عاشت متنقلة من بيت لبيت مثل يربوع يتوجس شرا فقد بقيت كالقط وفيا للمكان الذي اِرتبط به أولى ذكرياتي في هذا البلد"[1].

[1] - المصدر نفسه،: ص 143.

خاتمة

اِستطاع أدب الرحلة أن يجعل لنفسه حيزًا ومكانة مرموقة في الأدب على مستوى الكتابة الأدبية والسردية على حد السواء بِاعتباره منفرد النوع لأنه أدب لا يقلد، ولعل ما زاد من جمالية أدب الرحلة هو اِنفتاحه واِستثماره لمعلومات وأخبار متنوعة شملت مختلف الميادين والتي طبعت بدورها الرحلة وأعطتها صفة الواقعية، وذلك لمعالجتها لأحداث وأمكنة وشخصيات لهم حضور واقعي وآخر خيالي، والتي عمل الرحالة على إبرازها من خلال اِستخدامه لتقنية الوصف التي ميزت أدب الرحلة عن غيره من الآداب الأخرى فهي تطرح شكلًا من أشكال الحقيقة وتصويرًا للواقع.

ويعدّ أدب الرحلة فنًا ممتعًا وشيقًا يشمل فنونًا وأغراضا شتى، وفيه كنوز معرفية غزيرة تهم جميع الدارسين والقراء بشكل عام، وفي هذا الصدد حاولنا جاهدين من خلال هذا البحث إبراز حيثيات أدب الرحلة بشكل عام والكشف عن تجليات فن الرّحلة في رواية أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل.

ولقد اِنتهى البحث إلى مجموعة من النّتائج نجملها في النّقاط التّالية:

- **– نتائج الفصل الأول:**

1. ثراء مفهوم الرّحلة من النّاحيتين اللغوية والاِصطلاحية، وفق المصادر والمراجع التي حاولت أن تكسب هذا المفهوم زخمًا لغويًا اِنعكس على مفهومها الاِصطلاحي الخصب.
2. يزخر نص الرّحلة بخصوصيات فنية وجمالية جعلته يرتقي في سلم النثر الفني و هذا ما تطرق له الأدباء و النقاد أثناء دراستهم لأشكال النثر أثناء السّيرورة التّاريخية .
3. يزخر نص الرّحلة بطابع معرفي كثيف ومتكاثر، حيث يجمع بين أحضانه كمًا هائلًا من المعارف والموضوعات العلمية الواقعية في البيئة الثقافية والحضارية التي اِنبثق عنها.

4. يعد أدب الرّحلة أهم منبع لتوصيل أو رصد الواقع الأنثربولوجي للمجتمعات و الحضارات.
5. تجدر أدب الرّحلة عند العرب و المسلمين مند بزوغ الإسلام لأهداف متعددة.
6. الرّحلة تنتهي في الأخير بفوائد تعود على صاحبها منها: تنمية الفضائل و الكمالات في النّفس.

- **– نتائج الفصل الثّاني:**

1. سعى جوزيف لتتبع رحلة إيزابيل إيبرهارت من خلال مخطوطاتها التي حوّلها إلى لوحات فنية.

2. تجلّت الرّحلة في رواية أربعون عامًا في انتظار إيزابيل من خلال انتقال جوزيف من فرنسا إلى الجزائر و إقامته فيها و زيارته للعديد من المناطق التّاريخية و السّياحية في الجزائر التي قامت إيزابيل إيبرهارت بزيارتها خلال رحلتها للجزائر.

3. تعددت أغراض جوزيف في الرّواية بين أغراض دينية، صوفية، سياحية وترفيهية.

الملاحق

الملحق 01: التعريف بالكاتب وأهم مؤلفاته:

السعيد خطيبي ولد في 29 ديسمبر 1984 ببوسعادة ولاية المسيلة بالجزائر، أكمل دراسته العليا في السسيولوجيا في جامعة السّوربون عام 2011، يكتب باللغتين الفرنسية والعربية، يشتغل في حقل الإعلام، ويقدم حاليًا في سلوفينيا وقبلها في قطر، عمل وكتب في أهم الجرائد والمجلات في الجزائر وفرنسا منها: يومية "الخبر" أشرف لسنوات على إدارة تحرير مجلة الدوحة الثقافية.

اِشتهر "خطيبي" خصوصًا بتغطية مناطق النزاعات في إفريقيا وأروبا الشرقية.

النتاج الروائي

للخطيبي روايتين:

1. كتاب "الخطايا2013" التي نالت صدى نقديًا واسعًا في الجزائر والعالم العربي، ويلخصها خطيبي بالقول "قد جمعتُ يأسنا وخيبتنا، خيبة جيل القرن الواحد والعشرين، لسنا أبدًا محظوظين بالتواجد في هذا العالم، كل شيء ضدنا حتى ذكاء الإنسان والتكنولوجيا لم تعد في صفّنا، تمنيت لو عشت في مكان وزمان آخر هكذا يتسنى لنا أن أعيش غرائزي وآمالي على سليقتي، كتاب الخطايا يردف سعيد خطيبي "معجم ذنوبنا".
2. أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل : رواية توّجت بجائزة كتارا القطرية في صنف الرواية المنشورة بالنسبة لخطيبي فقد كان عليه لزامًا العودة إلى بعض الفترات التي تركت أسئلة علقت في مشجاب ماضي الجزائر، تلك الأسئلة التي لم يجب عنها التاريخ الرّسمي إيزابيل "القروية التي أحبت الجزائر ولم يرحمها الجزائريون.

النتاجات الأخرى:

- ❖ بعيدًا عن نجمة (ترجمات شعرية للكاتب ياسين) 2009.

- ❖ مدار الغياب: ترجمات للقصة القصيرة الجزائرية باللغة الفرنسية 2009.
- ❖ عبرت السّماء حافيًا: حوارات مع أشهر الروائيين الفرانكفونيين باللغة الفرنسية 2011.
- ❖ جنائن الشّرق الملتهبة: قصة الرّابي 2016، والذي يعتبر أول كتاب موسيقى الراي.

الملحق 02: صورة الغلاف

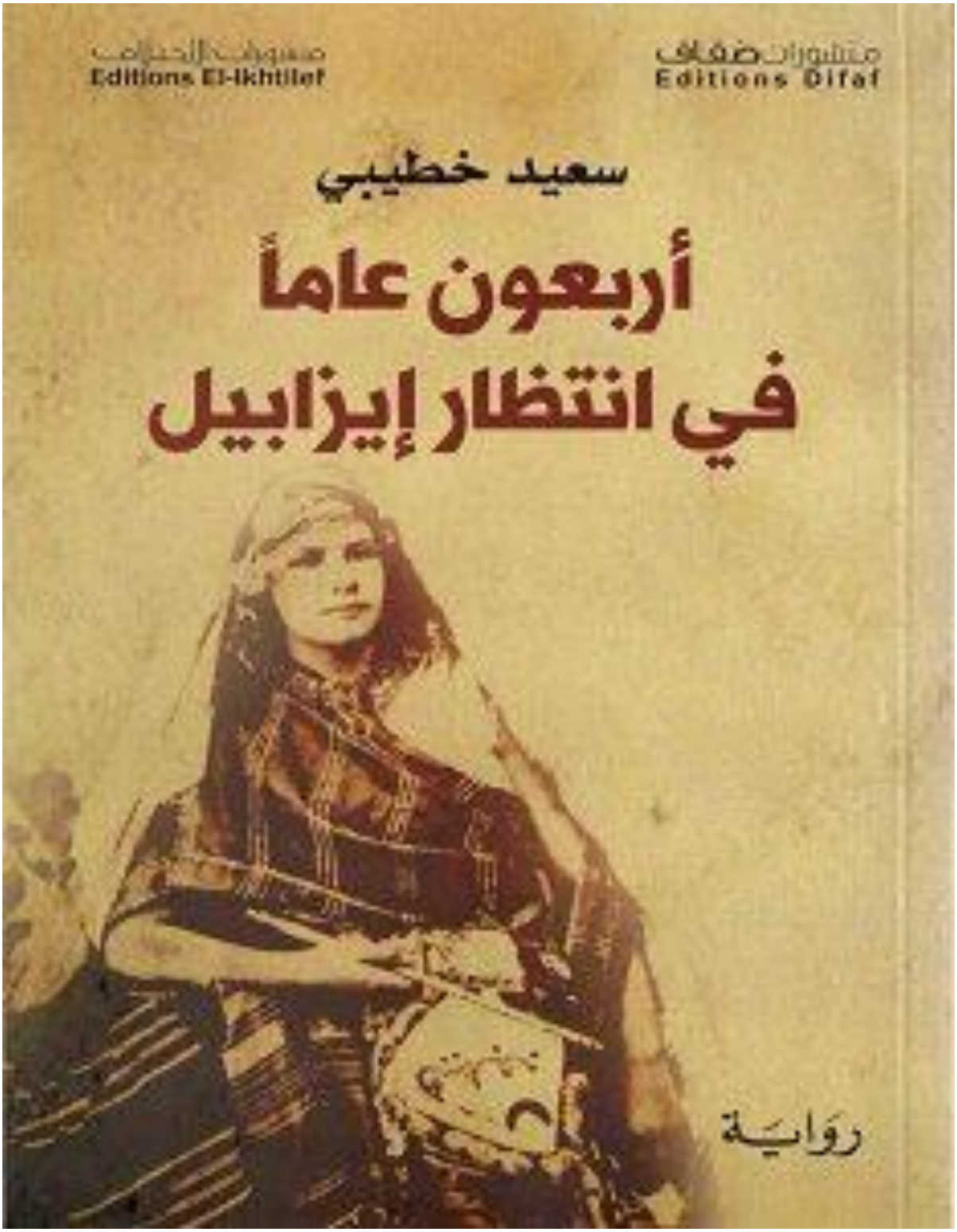

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

*- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1.المصادر:

1. سعيد خطيبي: أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل.

2.المراجع:

2. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافية (1500-1830)، ج1، الطبعة الأولى، دار المغرب الإسلامي، 1998.
3. حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، دار عطر المعرفة، الكويت، يونيو 1989.
4. حسين نضار: أدب الرحلة، دار توبار للطباعة، روض الفرج، شيهرة، القاهرة، مصر، ط1، 1991.
5. عبد الله ركيبي، تطور النثر الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1830-1979.
6. عماد الدين خليل: فن أدب الرحلات، تصوير أحم دياسين، 2005.
7. عواطف محمد يوسف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996.
8. فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، القاهرة، مصر، 2002.
9. كمال بن محمد الريامي، مشاهير الرحلة العرب، كنوز للنشر والتوزيع، ط1، 2013، القاهرة ، مصر.
10. محمد بن مسعود الحمد: موسوعة الرحلات العربية والمعربة المخطوطة والمطبوعة،ط1، القاهرة، م .س الحمد، 2007.
11. محمد صالح الجابري، رحلات جزائرية، دار الحكمة.

ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري، ط1، دار النثر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، مصر.

3.المعاجم ، القواميس و الموسوعات:

12. اِبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة.

13. إبن منظور: لسان العرب، مجلد 11، دار بيروت للطّباعة والنّشر، بيروت، بدون تاريخ.
14. الزبيدي: تاج عروس، الجزء 7، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.
15. مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984.
16. محي الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، قاموس المحيط، دار الجيل، بيروت جزء2.
17. معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مطبعة القاهرة، ط 4، 2004.

4.الأطاريح و الرّسائل الجامعية:

18. حافظ محمد بادشاه، الحجاز في أدب الرحلة العربي، مخطوطة الدكتوراه، إشراف كفايت الله الهمداني، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد، باكستان، 2013.
19. خيرة بن بلة: المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكترواه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008.
20. عبد الله بن عثمان الياقوت، مخطوط رسالة دكتوراه أدب الرحلة الحجازية عند الأندلسيين من القرن السادس حتى سقوط غرناطة، إشراف محمود حسن زيني، جامعة أم القرى، السعودية.

5.المواقع الإلكترونية:

21. **ويكيبيديا ar.m.wikipedia.org** 26 أفريل 2021

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

- *مقدمة..... 1 - 4

✓ - الفصل الأول: أدب الرحلة وتجليّاته

المبحث الأول : مفهوم أدب الرحلة لغة واصطلاحا 06

1- تعريف الرحلة.....06

1- 1. لغة..... 08

2-1. الرّحلة في القرآن الكريم.....08

3-1. الرّحلة: اصطلاحا.....10

2- أدب الرّحلة اصطلاح.....12

المبحث الثاني: تطور الرحلة في التراث العربي 16

1- الرحلة عند العرب.....16

1-1 نماذج مختارة.....18

1-1-1 المسعودي.....19

2-1-1 ابن بطوطة.....20

3-1-1 ابن خلدون.....21

4-1-1 أسامة بن مُنقد.....22

2- الرحلة عند الجزائريين 23

1-2 نماذج مختارة.....26

1-1-2 محمد الخضر بن حسين.....26

2-1-2 سعيد أبو بكر.....27

3-1-2 الطّب بن عيسى 28

4-1-2 حمزة بوكوشة.....28

المبحث الثالث: دوافع الرحلة وأغراضها وأهم فوائدها.....29
1- دوافع الرحلة وأسبابها.....29
2-أغراض الرحلة.....34
2-1 أهداف دينية.....34
2-2 أهداف اقتصادية.....35
2-3 أهداف علمية..... 35
2-4 أهداف ثقافية وسياحية.....35
2-5 أهداف ترفيهية.....36
2-6 أهداف صحية.....36
2-7 أهداف سياسية.....36
3- فوائد الرحلة.....37
3-1-التمكن من الجوانب العلمية.....37
3-2- نثر العلم للعلم.....38
3-3- تنمية الفضائل والكمالات في النّفس.....38
✓ **- الفصل الثاني : حضور الرحلة في رواية أربعون عاما في انتصار إيزابيل**
المبحث الأول: ملخص أحداث الرّواية.....40
المبحث الثاني: تجليات الرحلة في الرّواية.....47
1-1-زيارته للمسجد الكبير.....47
1-2-اِنتقاله إلى مكّة المكرّمة.....49
1-3-خروجه في رحلات الصّيد.....50
1-4- اِنتقاله إلى عين الصّفراء.....50
1-5-رحلته إلى الصّحراء.....51

1-6- رحلة العودة إلى بوسعادة.....52
1-7- زيارته للكنيسة.....53
1-8- زيارته لمقبرة النصارى.....54
1-9- زيارته لزاوية الريحانية.....56
1- 10زيارته لبيت الحاج محاد.....58
1- 11ذهابه إلى سوق الفلاح.....59
1- 12رحلة العودة إلى باريس.....59
المبحث الثالث: أهداف رحلة جوزيف ومظاهر تقمصه لشخصية إيزابيل.....61
3-1- الأهداف.....61
3-1-1- أهداف دينية.....61
3-1-2- هدف ترفيهي.....65
3-1-3 هدف سياحي.....65
3-1-4- أهداف اِقتصادية.....66
3-2- تقمص جوزيف لشخصية إيزابيل إيبرهارت ومحاكاتها.....66
- ***خاتمة**.....72
- ***الملاحق**.....74
- ***الملحق 01**: التعريف بالكاتب وأهم مؤلفاته.....75
- ***الملحق 02**: غلاف الرواية.....77
- ***قائمة المصادر والمراجع**.....79
- ***فهرس المحتويات**.....82

Summary :

The various prose arts have known a great development in the Arabic novel in general, and Algeria in particular, about the novel Forty Years Waiting for Isabel by Said Khatibi, where we studied it as a critical study, relying on the historical and descriptive analytical method as a field of study, as we divided this study into two chapters, the first theoretical and The second is practical, relying on a group of sources and references that contributed to demonstrating the difficulties that we faced throughout our research, and in the end we reached a set of results, which we divided into two parts:

***-First semester results:**

1- The richness of the concept of the trip from the linguistic and idiomatic point of view.

2-Travel literature is the most important source for communicating or monitoring the anthropological reality of societies and civilizations.

3-Multiple purposes of the trip according to the goal it aims at, including: political, religious, cultural and recreational.

***-Second semester results:**

1- The journey in forty years waiting for Isabel was greatly illustrated through Joseph's account of his journey to Algeria.

2-The goals of the trip varied in the novel, including: religious and mystical goals, in addition to tourism and entertainment.

3-Joseph followed in the footsteps of Isabel Eberhart's journey in Algeria.

4-Finally, we can only open the horizons of this research to benefit from it and study it according to other critical methods.

ملخص:

لقد عرفت مختلف الفنون النثرية تطورا كبيرا في الرواية العربية في شكل عام، والجزائر بشكل خاص، نحو رواية أربعون عاما في انتظار ايزابيل لسعيط خطيبي حيث قمنا بدراستها دراسة نقدية معتمدين على المنهج التاريخي والوصفي التحليلي كمجال للدراسة كما قسمنا هذه الدراسة الى فصلين الأول نظري والثاني تطبيقي معتمدين على مجموعة من المصادر والمراجع ساهمت في تدليل الصعوبات التي واجهتنا طيلة بحثنا وفي الأخير توصلنا الى مجموعة من النتائج قسمناها الى قسمين: نتائج الفصل الأول:

ثراء مفهوم الرحلة من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، وفق المصادر والمراجع التي حاولت أن تكسب هدا المفهوم زخما لغويا، انعكست على مفهومه الاصطلاحي الخصب.

يعد أدب الرحلة أهم المنابع لتوصيل أو رصد الواقع الأنثوفولوجي للمجتمعات والحضارات.

تعددت أغراض الرحلة وتنوعت حسب الهدف الذي ترمي اليه منها سياسية، دينية، ثقافية ترفيهية.

نتائج الفصل الثاني:

تجلت الرحلة في رواية أربعون عاما في انتظار ايزابيل بشكل كبير من خلال سرد جوزيف لرحلته في الجزائر.

تنوعت أهداف الرحلة في الرواية منها أهداف دينية وأخرى صوفية بالإضافة الى سياحية وترفيهية.

سير جوزيف في رحلته على خطى رحلة ايزابيل ايبرهارت في الجزائر.

كما لا يسعنا في الأخير الا أن نفتح آفاق هدا البحث.